مجلة شهرية

Issue No: 202 عدد:

June 2024 شهر حزيران

نـــــــور يسوع المسيح المسيـــــح

ΧΡΙΣΤΟΥ الغالب Φ Ω Σ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دير القديس يوحنا الرُّوسي

للروم الأرثوذكس

خالكيذيكي - اليونان

والاحتفال المهيب

لمرور مائة عام

لوصول جسد القديس

إلى بروكوپي في اليونان

1924 - 2024

إنَّ الذي دَعاكَ من الأرضِ إلى المساكن السماويَّة، حَفِظَ جسدك بعد الموتِ سالمًا أيُّها المغبوط، لأنَّكَ يا يوحنَّا وأنتَ مأسورٌ في آسيا، حافظتَ على محبَّتك للمسيح، فإليه تضرَّع أن يُخَلِّصَ نفوسنا.

عيد الدير المركزي

تذكار القديس يوحنا الروسي

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدسة
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة أحد السامرية (القديسة فوتيني)
في دير بئر يعقوب
في مدينة نيوبوليس (نابلس)
١-٥-٢٠٢٣ ش، الواقع في: ١٤-٥-٢٠٢٣غ

المسيح قام
من بين الأموات
ووطىء الموت بالموت
ووهب الحياة
للذين في القبور

أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «لَوْ كُنْتِ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ اللهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكِ أَعْطِينِي لأَشْرَبَ، لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكِ مَاءً حَيًّا». (يوحنا ٤: ١٠).

أيُّها الإخوة المحبوبون بالرَّبِّ يسوع المسيح،

أيها المسيحيُّون والزوار الأتقياء.

إنَّ نعمةَ **الرُّوح القُدُس** قد جمعتنا في هذا الاحتفال الشكري، أي القداس الإلهي لكي نعيِّد فِصْحِيًّا بفرحٍ وابتهاج لتذكار **المرأة السامريَّة** التي تحدثت مع **مخلّصنا يسوع المسيح**، عند بئر يعقوب رئيس الآباء، في هذه الكنيسة المقدسة.

لقد أصبح تلاميذ **الرَّبِّ** شهودَ عيانٍ، لهذا الحدث الصائر كما يقول **الرسول بطرس** في سفر أعمال الرسل: « وَنَحْنُ شُهُودٌ بِكُلِّ مَا فَعَلَ يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ، الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، لأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ». (أعمال ١٠ :٣٨-٣٩)

حقًّا إنَّ **المسيح** لم يحصر إحسانه في مدينة واحدة، ولا انتظر من المحسنين أنْ يأتوا إليه، ولكنه كان ينتقل إليهم سائرًا وماشيًا على الأقدام في جميع أنحاء فلسطين، كما حدث مع **المرأة السامريَّة** التي كشف لها **الرَّبُّ** عن شخصه في هذا اللقاء الخلاصي.

ولنسمع ما يقوله **القديس كيرلُّس الإسكندري** بهذا الصدد :«إنَّ المسيح لا يُعلن ذاته، **للنفوس الجاهلة جهلاً مطبقًا**، بل يُشرق ويُظهر لأولئك الذين هم أكثر استعدادًا واشتياقًا للتعلُّم، وبالرغم من أولئك الذين يتصَعَّبون في بداية إيمانهم بكلمات بسيطة، إلَّا أنهم ينطلقون إلى معرفة ما هو أكثر كمالاً.»

وحول قول **المسيح**: «لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكِ مَاءً حَيًّا»، فأجابت **المرأة السامريَّة المسيح** سائلةً إياه:«مِنْ أَيْنَ لَكَ الْمَاءُ الْحَيُّ؟» (يوحنا ٤: ١١). ويفسِّر **القديس كيرلُّس الإسكندري** هذا القول: «إنَّ الماء الحيّ بحسب المرأة السامرية هو الماء العذب المتدفق حديثًا من عيون النبع.»

إنَّ سؤال **المرأة السامريَّة** هو سؤال كثير من الناس الذين إيمانهم ليس ثابتًا، وذلك لأنهم لم يسمعوا لأقوال **الرَّبّ**، التي أَكَّدها **بطرس الرسول**: «فَأَجَابَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ» (يوحنا ٦:٦٨)، لأنَّ **المسيح** نفسه مُعَلِّمًا أنَّ **اَلرُّوحُ الْقُدُس (روح المسيح)** هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلاَ يُفِيدُ شَيْئًا. «اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ» (يوحنا ٦ : ٦٣).

إنَّ **المسيح** أيُّها الإخوة الأحبة: هو النعمة الإلهيَّة وينبوع الحياة الذي لا ينضب، عدا عن هذا فإنَّهُ قال **للمرأة السامريَّة**: «وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ» (يوحنا٤:١٤) **فالمسيح** هو مخلِّصنا، وهو مبدأ وجوهر الحياة. **فمرنم الكنيسة** «الذي سمع صوت المرأة السامرية التي اقتبلت التغيير العجيب الذي صار لها بنعمة ربنا يسوع المسيح»، يحثنا قائلًا: **«هلموا وانظروا الإله عالم الخفايا الذي حضر بالجسد لأجل خلاص جنس البشر.»**

وكما يقول **داود النبي والملك** في سفر المزامير:«لأَنَّك أحببتَ الحقَّ وأوضحتَ لي غوامِضَ حكمتك ومستوراتها» (مز ٥٠: ٨). تلك هي بالفعل غوامض حكمة **الله** ومستوراتها التي كشفها **المسيح للمرأة السامريَّة** قائلًا:«اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا» (يوحنا ٤: ٢٤)

ويُفسِّر ما سبق أعلاه، **القديس كيرلُّس الإسكندري**:« الله يقبل الساجد بالرُّوح والحقّ، الذي لا يحمل في الشكل أو المثال صورة التقوى اليهودية، لكنه بطريقة الإنجيل يسطع بممارسات الفضيلة، وباستقامة التعاليم الإلهيَّة، وهكذا يُتمِّم العبادة الحقيقيَّة الصادقة.»

بكلام آخر إنَّ السَّاجد الحقيقيَّ أي المسيحيّ، هو الذي يعيش وفق تعاليم إنجيل **المسيح**، ولا يكفي أنْ نعبد **الله** فقط بذهننا وفكرنا عبادة

عقلانيَّة ونظريَّة بحتةً، بل يجب أنْ تكون عبادة عمليَّة بإيمانٍ حارّ مقرونًا بالخشوع والتقوى، والمعرفة الحقيقيَّة لإيماننا القويم، من خلال الاشتراك بحياة الكنيسة وأسرارها الإلهيَّة، فالكنيسة هي جسد **المسيح** السرِّي كما يقول معلمنا **القديس الرسول بولس**: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا.» (١كور ١٢: ٢٧)، وكما يقول **الرَّبُّ**: «مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ.» (يوحنا ٦:٥٦). لهذا فإنَّ طهارة حياتنا واستقامة عقائدنا أي إيماننا الأرثوذكسي القويم يُشكلان العبادة الحقيقية لله وذلك لأنَّ المفسر **زيغافينوس** يقول:**«إن العبادة الروحيَّة هي التواضع لأن الذبيحة لله كما يقول الكتاب روحٌ منسحق.»**

القلب المتخشع والمتواضع لا يرذله **الله** أي أنَّهُ لا يحتقره، ولا يرفُضُهُ (مز ٥٠: ١٩) كما يقول صاحب المزمور. حقًّا إنَّ **المسيح ابن وكلمة الله لم يتجنب ولم يتهرَّب من أنْ يُعَرِّفَ ويكشف للمرأة السامريَّة**: «مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هذَا السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ» (كولُسي ١: ٢٥-٢٦) والتي تُكرمها اليوم وتُعيِّد لها كنيسة **المسيح** المقدسة في موطنها ومسقط رأسها «سُوخَارُ، بِقُرْبِ الضَّيْعَةِ الَّتِي وَهَبَهَا يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ ابْنِهِ.»، وتُعْرِضُهَا لنا الكنيسة أمامنا كَمَثَلٍ ونموذجٍ **للتواضع والقلب المنسحق**، حتى نقتدي بها من جهةٍ أخرى.

لهذا فمع المرنم نهتف ونقول: «إن الإنسان المقتبل شريعتك الإلهيَّة يخمد بها جمر الضلالة، فلذلك من امتلائه منك، لا يجوع ولا يعطش إلى الأبد أيُّها السيد الملك السماوي، فلذلك نمجد عزتك أيها المسيح الإله مبتغين أن تُرسل لعبيدك صفح الخطايا بسعةٍ. آمين»

المسيحُ قام، حقًّا قام

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

موجز تاريخ
بطريركِيَّة الرُّوم الأرثوذكس الأورشليمِيَّة

إنَّ تاريخ بطريركيَّة أورشليم، بطريركِيَّة الرُّوم الأرثُوذكس (دير الرُّوم)، هو تاريخ حافل بالقداسة والشهادة والجهاد المتواصل من أجل كنيسة المسيح والرَّعِيَّة.

الدور الأول: تأسيس كنيسة أورشليم

يبدأ تاريخ تأسيس كنيسة أورشليم من يوم العنصرة وحلول **الرُّوح القُدُس** على التلاميذ الأطهار في أورشليم، حيث قام الرسل القديسون بنشر الإنجيل في كُلِّ المسكونة، وذلك عملًا بوصِيَّة الناهض من القبر **ربنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح**. وكان أول رئيس أساقفة على أورشليم الشهيد والرسول يعقوب أخو الرَّبّ سنة 62 م.

من جَرَّاء الاضطهادات الأولى للمسيحيِّين من قِبَل مُعلِّمي الناموس اليهود وكذلك دمار أورشليم على يد **القائد الروماني تيطس** سنة 70 م، انتقَلَ مقرُّ كنيسة أورشليم إلى **مدينة بيلا التاريخيَّة** (من مُدن الديكابوليس)، الواقعة شرقي ضفة نهر الأردن، وكانت تضم عددًا كبيرًا من اليونانيِّين خلفاء **الإسكندر الكبير**، وبسبب انخفاض وتقلُّص عدد اليهود المؤمنين بالمسيحِيَّة، بدأت الكنيسة تأخذ الطابع اليوناني في جميع أنحاء فلسطين، حيث قَطَنَ أغلبهم في مدينة أورشليم.

قامَ آخر أعضاء الكنيسة اليونانِيَّة في **بيلا** بالرجوع الى أورشليم والسكن فيها بعد ثورة باركوخبا سنة 135م، حيث أُنشئت في الجهة الشماليَّة من المدينة جالية رومانيَّة وَسُمِّيَت (إيلياكابيتولينا)، وكان قد حُظر على اليهود دخول أورشليم بالكُلِّيَّة. أمَّا المزارات الشريفة فكانت مطمورةً تحت الأرض وبُنِيَ فوقها معابد وثنِيَّة.

في ذلك الوقت كانت **مدينة قيصريَّة مركزًا لرئاسة وتنظيم الكنيسة في**

الأراضي المُقدَّسة، أما أورشليم (إيليا) فقدكانت **قرية صغيرة وأسقفها** كان تابعًا لمتروبوليتيَّة قيصريَّة. حيث كان مسيحيُّو الأراضي المقدسة يواجهون **اضطهادًا عنيفًا** من قِبَل **أباطرة الرومان** مثل **أدريانوس وديكيوس وذيوكليتيانوس ومكسيمينوس الذين قتلوا** عددًا كبيرًا منهم.

الدور الثاني: زمن الازدهار

عرفت أورشليم الازدهار في عهد **الملك القديس ومعادل الرسل قسطنطين الكبير** سنة 324م وحتى بداية القرن السابع حيث **ساعدته أمّه القديسة الملكة هيلانة**، فوجدت الصليب المقدس، وموضع القبر الخلاصي، وبنت وزيَّنت جميع المزارات الشريفة الأخرى الخاصة **بحياة ربنا يسوع المسيح وكلمة الله** على هذه الأرض، وشيَّدت نحو **خَمسٍ وعشرين كنيسة**، وهكذا لم تمضِ مدّة وجيزة، حتى أقامت كنيسة القيامة العُظمى فوق القبر المقدس، وأخرى في محل الصليب (الجلجلة)، ومحل وجود الصليب المقدس، وفوق مغارة الميلاد القابلة للإله، وعلى محلّ صعود الرب الى السماء، وعدا عن هذه الكنائس، كنائس أخرى كثيرة في الأراضي المقدسة سنة 326-335م.

ومن جَرَّاء التحديات اللاهوتيَّة التي واجهت الكنيسة الرَسوليَّة، تَصَدَّى أساقفة كثيرون من أورشليم **للبِدَعِ والهرطقات** ببسالَةٍ وحزم دفاعًا عن الإيمان القويم، ونذكر منهم **القديس كيرلُّس الأورشليمي (الكارز) ومحاربته للآريوسيّة**. أمَّا **الحياة الرُّوحِيَّة** فكانت في حالة تقدُّم وازدهارٍ مستمر، ففي أوائل القرن الرابع أخذت الرهبنة شكلًا رتيبًا ومُنظَّمًا نتيجة لوجود الأديرة والصوامع والقلالي التي تتَّبع التنظيم الرهباني الذي أسّسه **القديسان إيلاريون وخاريطون**، وكانت هذه الأديرة أديرة عبادةٍ وممارسة للعيشة التقشفِيَّة ولحياةِ التقوى. وفي سنة 407 م كانت سنة سقوط الوثنِيَّة بشكلٍ كاملٍ في فلسطين، وذلك عندما قام **القديس بورفيريوس** الذي من تسالونيكي (420 م) **أسقف غزّة**، مع المسيحيِّين الذين كانوا هناك بهدم **معبد (مارنا) الوثني**.

وتدريجيًّا، كانت أُسقفِيَّة أورشليم التي ضمت المزارات المسيحِيَّة المهمَّة تتقدم، ففي بداية القرن الخامس الميلادي أصبحت ميتروبوليتِيَّة لمقاطعات فلسطين الثلاث. وكان ترتيبها العبادي وتيبيكونها في حالة تطور دائم بلغة عبادِيَّة وهي اللغة الرُّومِيَّة (اليونانيَّة). وفي النهاية تقرَّر في **المجمع المسكوني الرابع الذي عُقد في مدينة خلقدونية** سنة 451 م أن يُرفَّع مقام كنيسة أورشليم الى **بطريركِيَّة**، وأنْ تكون واحدةً من المراكز الكَنَسِيَّة الخمس الكبيرة التي كانت موجودة، وذلك بسبب مكانتها الخاصة في ضمير الشعب المسيحي وعبادتها المميزة ولاهوتها وحياتها الرهبانيَّة وجهاداتها من أجل الأرثوذكسِيَّة ومزارتها الشريفة وتاريخها الكنسي القديم.

لقد قدَّمت الرهبنة التابعة للكنيسة الأورشليميَّة في القرنين الخامس والسادس بعضًا من الأشخاص الذين يعتبرون من النسّاك الكبار والمستنيرين مثل **القديس إفثيميوس الكبير، وجراسيموس الأردني، وسابا المتقدس، وكيرياكوس الناسك، وثيوذوسيوس الكينوفيارخي مؤسس الرهبنة وحياة الشركة في الأديرة** وكثيرون آخرون ممن حوَّلوا صحراء اليهودِيَّة وفلسطين الى مدن للتعليم الملائكي. ونرى أنَّ **طُغمة «السبوديي»** وهم رهبانٌ كانوا يهتمون بإقامة الصلوات والاحتفالات التي كانت تقام في كنيسة القيامة، وهم طغمة مشابهة لأخويّة القبر المقدس التي تشكَّلت لاحقًا، وأمَّا هذه الطغمة، فقد تأسّست من قِبَل **الأسقف ألكسندروس في القرن الثالث**. وبعد إعادة بناء كنيسة القيامة في أواخر القرن الخامس الميلادي من قبل **البطريرك إيليا الأول**، سكنت بشكل نهائي في جوار القبر المقدس. لقد كان اهتمام بطاركة أورشليم والقادة النسّاك يصبُّ على العمل الرعائي والصلاة، ولكنهم دافعوا بقوّة وجاهدوا بشدّة في محاربة **الهرطقات مثل المونوفيزيتيّة (الطبيعة الواحدة) وأتباع أوريجانوس**. وأصبحت أورشليم بعد ذلك مركزًا للعبادة المسيحِيَّة والتعليم المسيحي، حيث كانت إحسانات **الإمبراطور يوستنيانوس** مكمِّلة للعمل والنشاط الذي قامت به **الملكة إفذوكِيَّة الأثينائِيَّة** المُحْسِنَة الى الأراضي المقدسة (في نصف القرن الخامس الميلادي)، وكان هذا التقدُّم مستمرًا لسنين طويلة. وقبل أنْ تقع أورشليم في **قبضة ملك الفرس (خسرو)** في 19 مايو سنة 614 م، كانت الكنيسة قَبْلَ ذلك في حالة ازدهارٍ كبير، وضمَّت أربعة ميتروبوليتِيَّات كنسِيَّة كبيرة وهي: **قيصريّة، سيكثوبوليس، البتراء، وبسطرا (بصرى)**، وعددًا كبيرًا من الأديرة يصل عددها نحو 365 ديرًا.

إنَّ الدَّمار الذي نتج عن **غزو الفرس** كان له أثرٌ عظيمٌ في تاريخ كنيسة صهيون، **حيث ذُبح في أورشليم أكثر من خمسة وستين ألف مسيحي**، وهدمت الأديرة والمزارات الشريفة بكاملها. أمَّا **البطريرك زخريا** مع رؤساء المدينة، فقد سيقوا أسرى الى بلاد فارس مع الغنائم الكثيرة والآثار المقدسة ومنها خشبة الصليب المقدس. أمَّا قائم مقام العرش البطريركي ولاحقًا **بطريرك أورشليم القديس موذستوس**، اهتم بإعادة ترميم المزارات كما كانت في القديم.

حقَّقَ **الإمبراطور هرقل**، وبعد حروب ضارية فوزًا ساحقًا على الفرس، سنة 627 م، وفي سنة 630 ميلادية قام **باسترجاع خشبة الصليب المقدس**، فدخل بها أورشليم ظافرًا وملتفًا بحفاوة كبيرة، وكانت آيات النصر والغَلَبَة تَشِعُّ من وجوه الشعب المحتفلين بهذا الحدث العظيم ومن ضمنهم **البطريرك زخريا** وجميع الأسرى الآخرين الذين حرَّرهم. ولكن بعد سنين قليلة لمَّا رأى **الإمبراطور هرقل** أنَّهُ لا يمكنه وقف

زحف الجيوش العربية، سقطت أورشليم سنة 638 م ، وانفصلت بشكل تام عن **الإمبراطورية الرُّومِيَّة المسيحِيَّة**، ووقعت أسيرة في **أيدي العرب الدُّخلاء المحتلين**.

الدور الثالث: عصر الشدائد الكبرى

كان هذا الزمن عصيبًا على بطريركيَّة أورشليم ، فبعد **أحتلال عمر بن الخطاب** مدينة أورشليم، أعطى المسيحِيِّين وبطريركهم القديس صفرونيوس بطريرك الملَّة الملكِيَّة أي «الرُّوم» مرسوم اعتراف مميَّز (العهدة العُمريّة) يُثبّت فيه أنَّ بطريرك الرُّوم هو القائد الروحي لسائر المسيحيين في فلسطين، وحتى لغير الأرثوذكسيِّين، وهذا بحدِّ ذاته ميثاق شرف يمنحه درجةً مميّزة بين رؤساء المسيحيِّين بأن يكون متقدمًا عليهم، حيث أعفَاهُ من الجزية وقدَّم له الأمن والأمَان على كنائسه وأملاكه، وأمر سلاطين وحكّام المسلمين الذين يأتون من بعده العمل على ذلك. ولكن للأسف سيطر على حُكم الخلافة من بعده **حكّام أشدّ قسوة**، فقاموا بمضايقة المسيحيِّين كثيرًا، وقد عانى المؤمنون **بالسيِّد المسيح كلمة الله** (المسيحيِّون) **في زمن حُكمهم من محاولات نشر الإسلام بالقوّة ودحض وإلغاء كُلِّ ما هو يُونانيّ**.

ورغم هذه الحالة الصعبة والضغوطات الخارجيَّة الكبيرة بقيت الحياة الرُّوحيَّة لدى المسيحيين المضطهدين بحالة نشاط وتطور، فقد كان لكنيسة أورشليم في هذا الزمن دورٌ هام في محاربة **الهرطقات مثل هرطقة المونوثيليث (المشيئة الواحدة)، وهرطقة محاربة الأيقونات وحتى ظهور هرطقة *Filioque* الفيليوكية (والابن) الناتجة عن الرهبان الإفرنج واللاتين التابعين للبابا**. ومن بين كثير من اللاهوتيين العظام الذين دافعوا عن الإيمان القويم نذكر **البطريرك القديس صفرونيوس** (638 م)، **والقديس يوحنا الدمشقي الراهب الساباوي** (784 م) اللذين يعتبران من أهم وأرفع رجالات اللاهوت وناظمي التسابيح في التاريخ الكنسي.

لقد وُصف القرن التاسع كما القرن الثامن بأنَّهُ زمن اضطهاد عنيف شُنَّ على المسيحيِّين، وكان كُلُّ هذا على حساب المزارات الشريفة، والكنائس، والأديرة، والمؤمنين البسطاء. ولمَّا نشبت الحرب الأهليَّة بين القبائل العربيَّة، (عصر نفوذ الأتراك847–946م) مُنع المسيحيِّون من إقامة شعائرهم الدينية في الأعياد خارج الكنائس (مثل زياح الإيقونات المقدسة) ومُنِعُوا كذلك من تعليم اللغة اليونانيَّة، حتى أنَّ تداولها بين أبناء الرعيَّة أصبح ضئيلًا، وكذلك أيضًا في طقوس العبادة داخل الكنائس. إنَّ دمار كنيسة القيامة والمناطق المقدسة الأخرى وإبعاد البطاركة واغتيالهم أدى الى تزعزع أوضاع المسيحيِّين، **وبلغت هذه الأضطهادات ذروتها في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله** (1007 م)، **حيث قامَ بِشَنِّ اضطهادٍ عنيفٍ وواسعٍ** على المسيحيِّين، **وقام بالاستيلاء عُنوَةً** على أملاكهم العامة والخاصة، **فأحرق ودمّر** كنيسة القيامة وكلّ الكنائس الأخرى والأديرة حتى وصل كنيسة القديس جاورجيوس في اللّد، **وكانت المصيبة الكبرى عندما نُهبت** جميع الأواني المقدسة من مخزن كنيسة القيامة، **وأُجبر** المسيحيُّون **بالقُوَّة على الدخول في الدين الإسلامي وإلاَّ عُوقبوا بالموت**، **فسقط منهم شهداء كثيرون**.

وبعد أنْ جلس على كرسيّ الخلافة من بعده ابنه **(الظاهر لدين اللّه)**، صَلُحَتِ الأوضاع قليلًا، وفي مدّة خلافته قام **إمبراطور القسطنطينيَّة قسطنطين المونوماخوس** (1042-1055م) بمدِّ يد العونِ، وذلك لبناء كنيسة القيامة والمزارات المقدسة الأخرى، ولكن الكنيسة **جُربت مرّة أخرى من قبل هجمات العرب وقوات السلاجقة الأتراك**. وبقدوم الصليبيِّين سنة 1099م، بدعمٍ من البابا والكثير من أمراء وأشراف ونبلاء الغرب، وُضع حدّ لهذه الهجمات. **ولكن كان لهؤلاء القادمين من الغرب غايات مُبيَّتة في صدورهم، ومنها الاستيلاء** على **الأراضي المقدسة ليجعلوها مملكة لاتينِيَّة، وأن يُجرِّدوها من الطابع الرُّوحي النابع من الإمبراطوريّة الرُّومِيَّة (البيزنطِيَّة)**.

الدور الرابع: الحروب الصليبِيَّة

لقد أظهر الصليبِيُّون غيظهم وحقدهم تجاه المسلمين المنهزمين في أورشليم مخالفة عن المعاملة التي أظهرها **عمر بن الخطاب** عند دخوله أورشليم تجاه الرُّوم المنهزمين آنذاك، **فَسَكِرُوا بخمر النَّصر وقاموا بمذابح شنيعة**. ولكن الكنيسة الأرثوذكسِيَّة أيضًا عانت كثيرًا من هؤلاء الصليبيِّين، فقد **نَفَوْا بطاركتها الأورشليميِّين** الى القسطنطينِيَّة مدّة 88 عامًا. وبالنسبة للصليبِيِّين كان **رئيس دير القديس سابا يعتبر ممثلًا للبطريركيَّة في أورشليم**، وذلك بعد أنْ أخذ الإذن منهم.

تميّزت سيطرة الكنيسة اللاتينِيَّة على الإكليروس الأرثوذكسي بالتعسفِيَّة والعُنف، لهذا وقعت كلّ المزارات تحت سيطرة اللاتين، فكانوا يجلبون الكهنة من الغرب للقيام بأعمال الخدمة، أمَّا رهبان أخوِيَّة القبر المقدس فحافظوا على حقوقهم بتدبير أمورهم محل وجود الصليب المقدس وإقامة القداس الإلهي باللغة اليونانِيَّة في القبر المقدس وبيت لحم. وحافظوا أيضًا على أديرة كثيرة خارج أورشليم، أمَّا داخلها فحافظوا على الدير التابع لدير القديس سابا الواقع بقرب قصر النبي داود والذي كان مركزًا لهم، وأيضًا على دير العذراء الكبير .

أراد الصليبِيُّون كسب الأرمن واليعاقبة الى صفّهم فلم يدخلوا في مواجهة معهم ولم يمسّوا أيًّا من أديرتهم أو كنائسهم، بل قاموا بإعطائهم كنائس وأديرة أخرى، ومن أهم الأحداث في هذه الفترة كان بناء كنائس ومزارات أرثوذكسِيَّة من قِبَلِ **الإمبراطور الرُّومي ميخائيل كومنينوس** (1143-1180م)، وقام الصليبِيُّون بإعادة شكل كنيسة القيامة الى ما كانت عليه قبل سنة 614 م، حيث وحَّدوا الكنائس الأربع التي أسَّسها **القديس موذستوس**، وهي: (القيامة، والجلجلة، والتنزيل عن الصليب، ومكان وجود الصليب)، معطين بذلك الشكل الموحَّد **لكنيسة القيامة** الذي ما زال قائمًا الى يومنا هذا.

الدور الخامس:
هزيمة الصليبيِّين على يدِ صلاح الدين الأيوبي

قام **صلاح الدين الأيوبي** سنة 1187م **بهزيمة الصليبيِّين في معركة حطّين قرب طبريَّا**، وهكذا وقعت أورشليم في أيدي المسلمين مرَّةً أخرى، وكانت نهايتهم وخروجهم من الأراضي المقدسة **نهائِيًّا** بعد أن هُزموا في عكَّا سنة 1291 م. حافظ **صلاح الدين الأيوبي على**

عُهدة عمر بن الخطاب، وقام بإعادة كل المزارات الشريفة التي **اغتصبها الصليبيُّون** الى أيدي **اليونان «الرُّوم»** ، ولكن بعضًا من **قادة صلاح الدين**، أعطوا بعض هذه المزارات الى الأقباط والأحباش؛ وفي بداية القرن الرابع عشر كان موقف المماليك من **بطريركيَّة الرُّوم** قد تغيّر، فدخلت هذه العلاقة المتدهورة بفترة إضطهادات طويلة ضدّ المسيحيِّين، حتى أنَّهُ في عهد **البطريرك يواكيم** سنة 1334م كادت كنيسة القيامة أن تُحوَّل الى جامع إسلامي، وفي السنة نفسها ظهر الفرنسيسكان في أورشليم الذين سكنوا جبل صهيون وفي الوقت نفسه كان هؤلاء يدعمون وجود الأرمن واليعاقبة.

وكان حينها يتوافد الى أورشليم كثير من الرهبان الصرب والجيورجيِّين الأرثوذكس الذين دعموا وجود وحضور أخويّة القبر المقدس وأُعطي لهم، من قبل الرهبان اليونان، دير الصليب المقدس، وللصرب دير الملائكة التابع لدير القديس سابا.

لقد شكَّل **سقوط القسطنطينيَّة في أيدي الأتراك** سنة 1453 م فجوة كبيرة في الحماية السياسيَّة **للبطريركيّة**، مما أدى الى دخولها في حقبة أضطهادات جديدة. لهذا قام **البطريرك أثناسيوس الرابع** بالذهاب الى القسطنطينيَّة وقدَّم طاعته **للسلطان محمد المحتل** سنة 1458م، وبهذا نجح بالحصول على أمرٍ سلطاني منه، وهكذا أبعد الخطر والدمار عن المزارات الشريفة وتأكدت حقوق الأرثوذكسيِّين وسلطتهم على المزارات الشريفة. ومن بعده، قام **البطريرك غريغوريوس الثالث** (1468– 1493 م) بعمل الشيء نفسه ونجح بالحصول على فرامان جديد من **السلطان محمد المحتل** في الوقت الذي عانى الإكليروس اليوناني من فقرٍ شديد. ولكن نتيجة توجُّههم هذا نحو **محمد المحتل** أدى الى تدهور علاقاتهم بالمماليك، وطبعًا مع اللاتين.

الدور السادس: عهدٌ جديد، سيطرة العثمانيِّين الأتراك على الأراضي المقدسة (1517م).

قام العثمانيُّون الأتراك فحلُّوا محلّ مماليك مصر، وكانت أخويَّة القبر المقدس، بمعونة **الإله**، تبذل جُهدًا كبيرًا في المحافظة على الأماكن المقدسة أمام **حِيَل وخطط الطوائف المسيحِيَّة الأخرى**. وهذه الفترة كانت فترة تطور كبير، وهي خضوع المزارات الشريفة تحت ما يسمى بالـ ***status quo* ستاتسكفو - الوضع الراهن او القائم)**.

وتتميَّز هذه الفترة من تاريخ أورشليم في محاولة الطوائف الأخرى، وخاصة **اللاتين والأرمن، السيطرة** على المزارات الشريفة بشكلٍ كامل، أو الحصول على مكاسب أكبر من خلال توجههم الى سلاطين القسطنطينيَّة، ودفع المبالغ الطائلة لكسب رضاهم، أو من خلال الاستعانة بقوات أجنبيَّة. كل هذه الأعمال كانت تحصل لسبب واحد وهو **ملاشاة وقمع وطرد الكنيسة اليونانيَّة «الرُّوميَّة» من الأراضي المقدسة، لأنَّها الكنيسة الأرثوذكسيَّة المدافعة عن الإيمان القويم والمُخْلِصَة لتعاليم السيّد المسيح والرسل الأطهار**. وإليكم بعض من هذه **الجهادات** التي **بذلتها أخويَّة القبر المقدس للدفاع عن المقدسات:**

في فترة الحكم التركي على فلسطين زمن **الحاكم سليم خليفة محمد المحتل**، سنة 1517م، اعتُرف بحقوق كنيسة أورشليم من قبل السلطات التركيَّة من جديد، وكان حضور الفرنسيسكان محصورًا ومحدودًا لأنَّ ديرهم دُمّر سنة 1523م، ولكن من وقتٍ لآخر، أخذوا ينظّمون أمورهم محاولين زجّ أنفسهم مع الطوائف الأخرى للدخول في النظام القائم على المزارات الشريفة.

في القرن السادس عشر، وبالأخص سنة 1537م، ترك **البطريرك جرمانوس الساباوي** أثرًا كبيرًا نتيجة لنشاطه ومحاولاته المتكرِّرة والمتميِّزة في تنظيم **أخويَّة القبر المقدس**، وقام أيضًا بعملية ترميم وإعادة بناء للكثير من المزارات الشريفة، وقد نجح في الحصول على **فرامان جديد** سنة 1538م من **السلطان سليمان** يحفظ من خلاله **حقوق الرُّوم** في الأراضي المقدسة. وتوجَّه أيضًا، باسم **أخويَّة القبر المقدس**، الى أباطرة وحكَّام روسيا وطلب منهم مساعدات ماليَّة للمزارات الشريفة، وقام بوضع قوانين جديدة تربط **أخويَّة القبر المقدس** ببطريركها ورئيسها بشكلٍ أكبر وأعمق. وقام خلفه، **البطريرك صفرونيوس الرابع** (1579-1608م)، بالعمل على تكملة كل محاولاته السابقة على أكمل وجه.

وفي سنة 1604م، عُقِدَت أوَّل اتفاقيَّة بين الدولة العثمانيَّة وفرنسا تمَّ من خلالها الاعتراف رسميًّا بحقوق اللاتين في الأراضي المقدسة، وبعد سنة أصبح لهم حقوق في موقع الجلجلة، وفي كنيسة المهد في بيت لحم. وكان ظهور اليسوعيِّين في الأراضي المقدسة مناهضًا ومنافسًا لوجود الفرنسيسكان. وقد **حاول الأرمن مرارًا مضايقة الرُّوم** كي يأخذوا منهم مراسيم النور المقدس، ولكنهم مُنعوا من ذلك **بأمرٍ سلطاني** سنة 1611م. حينها قام القنصل الفرنسي في مدينة القسطنطينيَّة بشَنِّ حربٍ عنيفة ضدَّ **البطريرك ثيوفانس الثالث**، وبهذا أفلح بالحصول على عدّة فرمانات (1631- 1634م) من **السلطان مراد** كانت **قويَّة جدًّا كعهدة نبي الإسلام محمد (التي أعطيت لرهبان دير سيناء) وكعهدة الخليفة سليم.**

وحدث أنَّ **البطريرك ثيوفانس** وقع في عَوَزٍ شديد وكانت حاجته للمال كبيرةً، فقام بإرسال جميع الأواني المقدَّسة وباعها لكي يحمي دير الملائكة التابع لدير القديس سابا ويُسدِّد ديون الرهبان الصرب القاطنين فيه وكذلك ديون الذين كانوا في دير القديس سابا.

قام **البطريرك باييسيوس** (1645-1660م) بقطع **محاولات الأرمن بالاستيلاء** على أملاك (الأحباش)، ولكنه لم يستطع منعهم من الاستيلاء على دير القديس يعقوب، وفي سنة 1658م أصبح هذا الدير تابعًا بشكل كامل **للأرمن**، والآن هو مركز البطريركيّة الأرمنيَّة

في أورشليم.

سنوات **البطريرك ذوسيثيوس** (1669-1707م) المَمَجَّدة أنارت سنوات الظلام الماضية، وشكّلت عائقًا أمام خطط وأعمال غير الأرثوذكسيِّين الذين استغلُّوا الأحداث التاريخيَّة وكادوا أن ينجحوا بطرد **أخويَّة القبر المقدس** وتجريدها من كامل حقوقها في المزارات الشريفة. فقد منع **البطريرك ذوسيثيوس** محاولات قامت بها فرنسا لإيقاع المزارات الشريفة في أيدي الرهبان اللاتين. وعندما توجَّه الى القسطنطينيَّة سنة 1677م قام بإلغاء كل ما هو صادر من قبل **قناصل دول النمسا، وفرنسا، وبولونيا، وڤينيا**. وأكَّدَ أنها حقوق أعطيت للاتين بدون أي أساس أو قاعدة تاريخيّة، وأنها جميعها مزوَّرة. وفي سنة 1680م قام باسترجاع دير الصليب من أيدي الرهبان الجيورجيِّين الأرثوذكس، وكان يسعى دائمًا لسدِّ الديون المتراكمة عليهم والتي حاول **اللاتين والأرمن دفعها**، لكن الحرب التي شنَّتها روسيا والدول المذكورة أعلاه ضدَّ الدولة العثمانيَّة سنة 1688م زادت الوضع سوءًا. ومع أنَّ **الخليفة سليمان** قام بإصدار فرامان لصالح الأرثوذكسيِّين في عام 1688م ، إلَّا أن خسارة تركيَّا من قِبَل النمسا أجبرتها على إصدار فرمان آخر لصالح اللاتين في العام 1689م، والذي كانت فحواه أنْ يأخذ اللاتين جميع المزارات الشريفة من أيدي اليونان لتكون لهم. وهكذا، وبهذا الفرمان، قاموا **بطرد جميع رهبان أخويّة القبر المقدس من أورشليم**. لكن **البطريرك ذوسيثيوس** أقسم أنَّهُ لنْ يعود الى أورشليم قبل أنْ يطرد اللاتين من المزارات الشريفة، وقد نجح بإصدار عدد كبير من الفرمانات لكنها لم تكن ذات أهميَّة كبيرة لصالح البطريركيَّة. لكنه لم يتمكن من رؤية ثمار جهوده من أجل **الإيمان القويم**.

وقام **البطريرك خريسنثوس** الذي نجح في تثبيت **حقّ الأرثوذكسيِّين وبطريركهم** في إقامة شعائر النور المقدس. وفي سنة 1719-1720م إكتسب حقوقًا أخرى لصالح **لأرثوذكسيِّين**.

وفي سنة 1737م تأسَّست أوَّل مدرسة أرثوذكسيَّة في أورشليم من قبل **البطريرك بارثينيوس**. وحصلت اتفاقية جديدة بين فرنسا وتركيّا سنة 1740م، كانت هذه الاتفاقيَّة بمثابة إعلان الحرب والاضطهاد على **أخويَّة القبر المقدس**. ولكن تمَّ إصدار فرمانين من قبل **السلطان عثمان الثالث** سنة 1757م ومن بعده، **السلطان مصطفى الثالث** سنة 1768م بمساعي **البطريرك بارثينيوس** التي أرجعت **حقوق أخويَّة القبر المقدس** التي سُلبت منهم منذ العام 1689م. وهكذا قام **البطريرك بارثينيوس** بوضع قانون مستحدث لتنظيم **أخويَّة القبر المقدس**.

الدور السابع: نهاية القرن الثامن عشر

في نهاية القرن الثامن عشر حدث تغيير كبير في الأوضاع السياسيَّة وفي نظام الحقوق السائد في المزارات الشريفة، والذي تمّ تثبيته الى يومنا هذا حيث بدأت البطريركيَّة بتنظيم أحوالها وأعمالها الداخليَّة. إنَّ المعاهدة التي حصلت في سنة 1774م **(كيوتشوك كينارجي)** أجبرت تركيّا أن تجعل حياة مواطنيها المسيحيِّين أفضل وأنْ تعترف أنَّ روسيا هي حامية المسيحيِّين في الأراضي المقدسة، وقد حاول **اللاتين والأرمن** التدخل ثانية في كنيسة المهد والجلجلة للحصولِ على حقوق أكثر، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك. وعندما حاول **الأرمن** الحصول على حقوق في القبر المقدس، من خلال مشاركتهم في إعمار كنيسة القيامة، لم يستطيعوا. **فقاموا بإحراقها** سنة 1808م حيث احترق قسم كبير من جدرانها الخشبيَّة. أمَّا العهدة التي أصدرها **السلطان محمود الثاني** سنة 1809م ضمنت أنَّ أعمال إعمار كنيسة القيامة الشريفة يتم فقط من قبل **اليونان «الرُّوم»**، وهذا دفع **اللاتين والأرمن** الى الاحتجاج بقوَّة محاولين بكل طريقة ووسيلة الإساءة الى البنَّائين والعُمَّال لتعطيل أعمال الترميم حتى يقوموا بالحصول على فرمان آخر يكون في صالحهم. ولكن في النهاية لم يحقِّقوا شيئًا من مآربهم، **وأُعيد** إعمار كنيسة القيامة الشريفة **بعرق ودم ومال جنس الروميِّين** الذين كانوا تحت **عبوديَّة الأتراك**، وهكذا دُشن هيكلها في الثالث عشر من سبتمبر عام 1810م، **وصادف هذا التاريخ يوم تدشين هيكلها في أول مرّة بعد بنائها (وُصف هذا الحدث بأنه أعجوبة بسبب إيمان اليونانيِّين الرُّوم)**.

إنَّ الثورة اليونانيّة ضدَّ **الأحتلال التركي** التي اندلعت عام 1821م وضعت **أخويّة القبر المقدس** مع باقي اليونانيِّين تحت **تهمة الخيانة** أمام الباب العالي وهكذا أتيحت الفرصة لغير الأرثوذكسيِّين لإخراج **اليونانيِّين «الروم»** من الأراضي المقدسة. وهكذا عانت **أخويّة القبر المقدس** الكثير من قبل الأتراك في ذلك الوقت. وفي سنة 1824م قام **الأرمن** بالاستيلاء على قسم من جبل صهيون، وحاولوا حينها أخذ الجلجلة أيضًا ولكنهم لم ينجحوا، فحصلوا مع **اللاتين** على حقوق في القبر المقدس. وفي سنة 1834م، عندما كانت **فلسطين في يد إبراهيم باشا**، قام **الأرمن واللاتين** باستغلال اعمال الإصلاح التي حصلت في كنيسة القيامة بعد الزلزال الذي حدث هناك، محاولين بذلك ضمّ كنيسة القيامة الى سيطرتهم بالكامل. ونتيجة الضغوطات الأوروبيَّة على تركيا أدت الى إعادة تأسيس البطريركيَّة اللاتينية سنة 1847م والتي كانت قد ألغيت بعد انهزام الصليبيِّين. وفي سنة 1840م ظهر في الأراضي المقدسة الأنجليكان، واللوثريين والبروتستانت والروم الكاثوليك. وبالرغم من كُلِّ ذلك كانت الأراضي المقدَّسة في هذه الفترة تستمد الدعم والمساعدات الكبيرة من الإمبراطوريّة الروسيّة **التي كان لها أهدافها الخاصة**.

إن مجيء الأرشمندريت الروسي برفيريوس أوسبنسكي سنة 1843م وتأسيس البعثة الأرثوذكسيَّة الروسِيَّة سنة 1848م جعل الحضور الروسي قويًا، وفي نفس الوقت قامت هذه البعثة **بزرع بذور الشكّ** بين **أخويّة القبر المقدس وأبناء كنيسة الرّوم الإثوذكس الناطقين باللغة العربيّة** وذلك بهدف أنْ يكون التدخل الروسي في أمور الكنيسة الأورشليميَّة أقوى، وأيضًا استمالة الرعيَّة الرُّوميَّة الأرثوذكسية (الناطقة بالعربيَّة) الى **الصف الروسي**. لكن هذه السياسة التي اتبعتها البعثة أدانها الشَّعب الرُّوسي بنفسه. ووصلت هذه الأعمال ذروتها بتنحية **البطريرك كيرللس الثاني عن السدَّة البطريركيَّة**، حيث خُدع من قبل الدبلوماسيين الروس في القسطنطينيَّة فلم يُشارك في

المجمع الذي عُقد سنة 1872م والذي أدان الانشقاق الذي حصل في كنيسة بلغاريا نتيجة التعصب العرقي لجنسهم، مما أدى الى نشوب عراك بينه وبين أخوية القبر المقدس وعَقَدَت اجتماعها في سنة 1872م وتقرَّر تنحية **البطريرك كيرللس الثاني عن السدَّة البطريركيَّة**. فواجهت الأخوية الصعوبات من قبل **البطريرك كيرللس** والحرس التركي أيضًا. وفي سنة 1873م انتُخب **البطريرك بروكوبيوس الثاني بطريركًا** على الكنيسة الأورشليميَّة، فقامت روسيا بالاعتراض وأصدرت أوامرها بالاستيلاء على جميع أراضي البطريركيَّة في باسيربيا (ملدافيا حاليًا) وفي القوقاز، والتي تم استرجاعها في سنة 1875م، وفي السنة نفسها قرَّر الباب العالي التصديق على النظام الداخلي الجديد **لبطريركيَّة الرُّوم الأرثُوذكس**. وبالرغم من كلِّ ذلك كانت مدّة بطريركيّة كيرللس الثاني (1845-1872م) في كثير من الأحيان مفيدة لبطريركيَّة أورشليم حيث تمَّ تأسيس مطبعة البطريركيَّة سنة 1853م، وهي أقدم المطابع في فلسطين. وفي سنة 1855م تأسَّست كليَّة اللاهوت في دير الصليب المقدس، والتي كانت بمثابة أرضٍ خصبة للكثير من اللاهوتيِّين الأرثوذكسيِّين الذين أفادوا الكنيسة الأرثوذكسيَّة. وفي عهد **البطريرك كيرللس** أيضًا توقفت عادة انتخاب البطريرك الأورشليمي في القسطنطينيّة، والتي كانت سائدة لمدة قرنين ماضيين من الزمن، فصار انتخابه في أورشليم. وهكذا حصلت كنيسة صهيون على الدعم الكامل من **بطريركيّة القسطنطينيَّة مركز الرُّوم والأرثوذكسيَّة**.

إنَّ العلاقات والمعارك السياسيَّة العالميّة التي حصلت بين فرنسا وروسيا سنة 1851م والتي دارت حول مصالح اللاتين والأرثوذكس في المزارات الشريفة قادت الى نجاح الأرثوذكسيِّين، وأدت الى إصدار مرسوم، **بخط شريف**، سنة 1852م يحفظ **حقوق الرُّوم**. وفي سنة 1853م صدر مرسوم آخر أكثر وضوحًا من الأول والذي حُدِّدَ من خلاله عمل المزارات الشريفة وأيضًا حقوق **الرُّوم الأرثوذكس** وبقيّة الطوائف الأخرى، وهو نفس النظام القائم في المزارات الشريفة الى يومنا هذا. وأمَّا مؤتمر باريس الذي عُقد سنة 1856م أكَّد على قيام هذا النظام داخل المزارات وتمَّ الاتفاق عليه أيضًا في اجتماع برلين سنة 1878م، واعتُبر هذا النظام بالحقيقة مريحًا للكنيسة الأرثوذكسيَّة أقدم الكنائس في الأرض المقدسة، ولهذا صودِقَ عليه من عصبة الأمم ولاحقًا منظمة الأمم المتحدّة سنة 1947 - 1950م. وأمَّا اليوم، فهو ساري المفعول، تُحافظ عليه كُلُّ الطوائف المسيحِيَّة الأخرى، وهو مصدر أمان لعمل المزارات والحفاظ على الحقوق والمصالح العامة لكُلِّ طائفة، فكما يقولون: «مَن يحافظ على النظام، يحافظ هو على نفسهِ أيضًا».

لقد أظهر افثيميوس، مسؤول الأواني المقدسة في كنيسة القيامة، في نهاية القرن التاسع عشر تميّزًا وتجديدًا في الشكل البنائي للبطريركيَّة، وساعد في إظهار وبناء الكثير من المناطق التي ميَّزت القسم المسيحي في البلدة القديمة في أورشليم وذلك من باب داود الى حدّ كنيسة القيامة، حيث يُطلق على هذه المنطقة في كثير من الأحيان بمنطقة «**افتيموس**». وعادت أيضًا كُليَّة الصليب المقدس اللاهوتيَّة الى العمل من جديد بعد انقطاع بسيط سنة 1873م وذلك في زمن **البطريرك جراسيموس** (1891-1897م)، ومن ثمَّ توقفت عن العمل ثانية. ولكن يوجد الآن اهتمام من قبل أخوية القبر المقدس كي تعود هذه الكُليَّة الى العمل تحت رعايتها. وأيضًا أُعطي اهتمام كبير للمحافظة على جميع المخطوطات وكل كنوز البطريركيَّة، وأيضًا أملاكها التي دخلت في حقبة عصيبة ومشاكل صعبة نتيجة أحداث القرن العشرين في فلسطين، حيث كانت الرعيَّة أيضًا تواجه مصاعب عديدة نتيجة الأزمة الدينيَّة والسياسيَّة السائدة. ولسوء الحظ كان أبناء الرعيَّة يتركون وطنهم الأم ويذهبون الى بلاد الغُربة من أجل لقمة العيش.

خاتمة

إنَّ كنيسة أورشليم هي الكنيسة الوحيدة في الأراضي المقدسة التي لها جذور وأصول عميقة في هذه الأرض، والتي حافظت على الإيمان الأرثوذكسي إيمان الآباء والرسل القديسين الثابت غير المتزعزعِ.

وأمَّا الطوائف الأخرى، فإن مرجعياتها مرتبطة بدول ومراكز سياسيَّة مختلفة تكون مراكز رئاساتها موجودة خارج الأراضي المقدسة، وأمَّا هنا، لها ممثليات فقط تمثل هذه المرجعيَّات. لهذا، ينقصهم الدور الهام والتاريخي الذي تقوم به كنيسة صهيون تحت قيادة طغمة «**السبوديي**» **أي أخويّة القبر المقدس.**

إن الطابع اليوناني والرومي لكنيسة صهيون والاتجاه التاريخي لمسيحيي فلسطين يعطي لبطريركيّة صهيون المقدسة وللأرثوذكسِيَّة الروميَّة النابعة من الآباء، الطابع المسكوني والرُّوحي والحضاري. وبهذا تولد الروابط الوطنِيَّة والمسكونِيَّة لحماية المزارات الشريفة.

لذلك نتيجة الحروب التي قامت في الشرق الأوسط والمشاكل التي نتجت عنها أدت الى تقلّص عدد المسيحيِّين في الأراضي المقدسة، ومع كل هذه الصعوبات فإنَّ كنيسة صهيون ما زالت تقوم بدورها الديني والرُّوحي في قيادة رعيتها الى ميناء الخلاص، والحفاظ على الشكل الليتورجي الذي تعمل به المزارات الشريفة، حيث أنَّ نفوس كثير من أبناء هذه البلد وحُجَّاجها يجدون راعيهم الصالح «**أي المسيح**» الذي بصليبه وقيامته «صَنَعَ خلاصًا فِي وَسَطِ الأَرْضِ». (مز 73: 12)

الإلحاد مَرَضٌ عَقْلِيّ: إنَّهُ جرحٌ مريعٌ في نفس الإنسان يصعب شفاؤها منه، **الإلحاد** هو هوى يظلم مَن يتملَّكه بقسوة. إنَّهُ يختزن الكثير من المصائب لمَن يحتجزه، ويصير مؤذيًا ليس له وحسب، بل لكُلِّ الذين حوله.

ينكر **الإلحاد** وجود الله. إنَّهُ لا يُقِرُّ بأنَّ هناك خالقًا إلهيًّا ، ولا يعترف بتدبير الله وحكمته وصلاحه وبشكلٍ عام بصفاتِهِ الإلهيَّة. يعلِّم **الإلحاد** الكذب لأتباعه ويستنبط نظريات خاطئة حول خلق العالم. إنَّهُ يعترف، مثل **بيثيا** على المرجل ذي الثلاثِ قوائم (بيثيا كاهنة إغريقية كانت تجلس على مرجل ذي ثلاثِ قوائم من البرونز في معبد أبولو وتطلق التكهنات: المترجم)، بأنَّ الخليقة هي نتاج الحظّ، وأنها تستمر وتُحفَظ من خلال تفاعلات عشوائيَّة لا هدف لها وأنَّ بهاءها يظهر بشكل عفوي مع الوقت وأنَّ ما يُشاهَد من التناغم والنعمة والجمال في الطبيعة هي صفات أصيلة للنواميس الطبيعية. ينكر **الإلحاد** وجود الله، فهو لا يعترف به، أي بصفاته الإلهيَّة، وبدلًا من ذلك، يمنح المدة الهامدة الواهنة هذه الصفات وهذه القدرة الخلَّاقة. **الإلحاد** يُعلن بحريَّة أنَّ المادة هي علَّة كُلِّ شيء، وهو **يُؤَلِّه المادة** بهدف إنكار وجود كائن أسمَى ذي روح مُبدعَةٍ رفيعَةٍ تهتم بكُلِّ الأشياء وتُحافِظُ عليها.

بسبب الكُفر، تصير المادة الكيانَ الحقيقي الوحيد، بينما لا تعود الرُّوح موجودةً. بالنسبة **للإلحاد**، الرُّوح والنفس هما من اختراع الغرور البشري الذي يلفقها لإرضاء مجده الباطل. ينكر **الإلحاد** طبيعة الإنسان الروحيَّة. إنَّهُ يسحب الإنسان من المقام العالي الذي وضعته فيه قُدرة الخالق ونعمته إلى أسفل، ويضعه على مستوى الحيوانات غير العاقلة **التي يعتبرها أسلاف ذريته المميزة النبيلة**. يقوم **الإلحاد** بكل هذا ليشهد لكلمات المزمور: «الانسان اذا كان في كرامة ولم يفهم. قيس بالبهائم التي لا عَقْلَ لها، وَشُبِّهَ بها» (مز٤٨: ٢٠).

الإلحاد ينتقص من الإيمان والرَّجاء والمحبَّة في العالم التي هي ينابيع تمنحُ الحياة من الفرح والرجاء والمحبة. إنَّهُ يطرد البِرَّ من العالم ويرفض وجود تدبير الله ومعونته. يقبل **الإلحاد** القوانين الموجودة في الطبيعة لكنه يرفض ذاك الذي ثبَّتها.يسعى **الإلحاد** إلى قيادة الإنسان إلى سعادة خياليَّة؛ مع هذا، فهو يتخلَّى عنه ويهجره في وسط اللامكان، في وادي النحيب، عاريًا من كُلِّ الخيرات السماويَّة، فارغًا من كُلِّ تعزية تأتي من فوق، مُجرَّدًا من القُوَّة الرُّوحيَّة، ثِقْلًا على الفضيلة الأخلاقيَّة، وَمُعَرَّى من المُؤن التي لا غنى عنها على الأرض: الإيمان والرجاء والمحبة.

يحكم **الإلحاد** على الفقير بالهلاك ويتركه واقفًا وحيدًا كفريسة وسط صعوبات الحياة. إذ ينزع المحبَّة من داخل الإنسان، يجرِّده **الإلحاد** من محبَّة الآخرين له ويعزله عن العائلة والأقارب والأصدقاء. **الإلحاد** يقتلع كُلَّ أَمَلٍ بمستقبلٍ أفضل ويستبدله **باليأس**. إنَّ **الإلحاد** مريع! إنَّهُ **أسوأ الأمراض الروحِيَّة**.

لا تنتقد

زَكِبَ سيَّارةَ صاحبه .. فكانت أوَّل كلمة قالها: **ياااه !! ما أقدم سيارتك !!** ولما دخل بيته رأى الأثاث فقال: **أووووه .. ما غيرت أثاثك؟** ولما رأى أولاده قال: ما شاء الله .. حلوين .. لكن لماذا لا تُلبسهم **ملابس أحسن من هذه**. ولما عاد إلى البيت قدّمت له زوجته طعامه وقد وقفت المسكينة في المطبخ ساعات. رأى أنواعه فقال: **يااا الله .. لماذا ما طبختي أرُزًّا ؟. أووووه .. الملح قليل ! لم أكن أشتهي هذا النوع !!**. دخل محلًّا لبيع الفاكهة فإذا المحل مليء بأصناف الفواكه. فقال : **عندك مانجو** ؟. قال صاحب المحل العجوز: لا هذه في الصيف فقط. فقال: **عندك بطيخ** ؟ قال: لا. **فتغير وجهه** وقال: **ما عندك شيء، ليش فاتح المحل** ! **وخرج**. ونسيَ أنَّ في المحلِّ أكثر من أربعين نوعًا من الفواكه. بعض الناس يزعجك بكثرة انتقاده .. **ولا يكاد يعجبه شيء**، فلا يرى في الطعام اللذيذ **إلَّا الشعرة** التي سقطت فيه سَهوًا، ولا في الثوب النظيف **إلَّا نقطة الحبر** التي سالت عليه **خطأً** ، ولا في الكتاب المفيد إلا **خطأً مطبعيًّا** وقع سهوًا، **فلا يكاد يسلم أحد من انتقاده .. دائم الملاحظات، يُدَقِّق في الكبيرة والصغيرة**. من كان هذا حاله عذَّب نفسه في الحقيقة .. وكرهه أقرب الناس إليه واستثقلوا مجالسته. لأنَّهُ لا يُقيم لمشاعر الناس اعتبارًا.. يجرحهم بكُلِّ سهولة ولا يعتقد أنَّهُ قد أخطأ بشيء.

إحرص على انتقاء كلماتك مع الآخرين.. كما تنتقي أطيب الثمر والورد. ولا تجعل كلامك سهامًا جارحة فيكرهك الناس .

القديس يوحنا الروسي الصانع العجائب

الإحتفال المهيب والدورة التقليدية في ٢٧ أيّار من كل عام لجسد القديس يوحنا الروسي غير الفاسد ، في بروكوبي - اليونان

وُلِدَ **القديس يوحنا** عام ١٦٩٠م، في قرية من قرى روسيا الصغرى، ونشأ على التقوى ومحبَّة الفضيلة. لما بلغ الحادية والعشرين دخل الى الجيش، وانْضَمَّ الى عسكر القيصر، واشترك في الحرب الروسيَّة التركيَّة، دفاعًا عن الوطن الأم؛ والتي آستمرت من العام ١٦٧٢ والى العام ١٦٨١ م .

وقع **القديس يوحنا** أسيرًا في يد التتار وبيع عبدًا في سوق النِخاسة، لأحدِ قادة الفرسان العثمانيِّين، **المدعو الحاج حسن آغا، قائد سلاح الفُرسان**، الذي كان يقطن في **بروكوبيو في آسيا الصغرى**، وهي مدينة قريبة من **قيصرية الكَبادوك** (موطن القديس باسيليوس الكبير).

كانت **بروكوبيو** مُعسكرًا للأسرى المسيحيِّين المجنَّدين للحرب والمعروفين بـ **«الانكشاريَّة»** فعاش **القديس يوحنا** في وسطِ معادٍ عرضةً، بصورة دائمة، لتعييرات الأتراك وإزعاجهم. كانوا ينادونه **«يا كافر»** ويحرِّضُونَهُ على تغيير دينه. كثيرون من أقرانه **جحدوا** إيمانهم، أمَّا هو **فقاوم الى النهاية**. كان سيِّده يضربه ويهينه ويشدِّد عليه ليصير مُسلمًا، فكان ردُّه أنَّهُ لا شيء يفصله عن **المسيح**. قال **لسيِّده حسن آغا:**

«أنت سيِّد على جسدي لا على نفسي. إذا تركتني لحرّيتي أتعاطى واجباتي الدينية فإني مُطيعُكَ بلا تردُّد. بكل سرورٍ تجدني أرتاح الى هذه الزاوية من الإسطبل ويرتحل ذهني الى المسيح الذي حسب مذود بيت لحم هو سريرٌ ملوكيّ. مستعدٌّ أنا أن أتحَمَّل بلا تذمُّر ضربات عصاك كما تحمَّل الرَّبُّ يسوع ضربات الجند. أما إذا شئت أن تُخضعني بالقُوَّةِ لتحملني على الكُفر بمسيحي فأنَا مستعدٌ أنْ أحتمل أكبر العذابات وأشدَّها هولًا ولا أنكره».

كلمات **القديس يوحنا** وغيرته على الإيمان **بالرَّبِّ يسوع المسيح**، وكذلك مسلكه العفيف المتواضع غيَّر، بنعمة **الله**، قلب الآغا ومشاعره حياله؛ فكفَّ عن ترويعه، وأقلع عن محاولة إجباره على التخلِّي عن إيمانه، لا بل صار يعطف عليه، وكما قال **سليمان الحكيم** في سفر الأمثال: «إِذَا أَرْضَتِ الرَّبَّ طُرُقُ إِنْسَانٍ، جَعَلَ أَعْدَاءَهُ أَيْضًا يُسَالِمُونَهُ.» (أم ١٦:٧)

أوكل **الآغا** الى **القديس يوحنا** أمر العناية بالأحصنة والخيل والجِياد، كونه قائد سلاح الفُرسان، فأقام في زاوية مُعتمه من الأسطبل. لم يشأ أنْ يقيمَ في المنزل الخاص به، الذي أفرده **الآغا** وزوجته له. آثرَ **حقارة الأسطبل نُسكًا**. وحين كان **الآغا** يخرج الى القرية على صهوة جواده كان يوحنا يتبعه ماشيًا كعبدٍ.

على هذا النحو سلك يوحنا في صحرائِهِ التي أصطفاها له **الرَّبُّ الإله**. كان حافيَ القدمينِ صيف شتاء، يلبس الأسمال (الرُقع البالية)، لا يأخذ من الرَّاحَةِ سوى قسط يسير على القش أو الزبل، نظير **أيوب الصديق**. **يعمل في الأسطبل في النهار** ويداوم الصلاة في الليل.

وكثيرًا ما كان يوجد راكعًا الليل بطوله في ساحة كنيسة القديس جاورجيوس القريبة. وإلى ذلك كان يقبل تعيير العبيد الآخرين وتهكمهم ولا يتذمر، وكان يخدمهم. وَلِسان حاله كان **قول المرنم في المزمور**: « كثيرون قاموا عَلَيَّ. كثيرون يقولون لنفسي لا خلاص لهُ بإلهِ. وانتَ يا رب ناصري ومجدي ورافع رأسي.» (مز ٣:٢-٣)

وكما أنَّ **الله** أغنى لابان ببركة يعقوب في العهد القديم، هكذا بارك **الآغا** فصار واحدًا من أغنياء **بروكوبيو**. كان يعرف أنَّ غناه المفاجئ هو بفضل سائسه **القديس يوحنا** وكان يُعلن عن ذلك في كُلِّ مناسبة.

وقرَّرَ سيِّد يوحنا (يوڤان بالروسيَّة) أنْ **يخرجَ في حجٍ الى مكة**. وطال الوقت لعودته، عندها قرَّرت زوجة **الآغا** دعوة أصدقاء زوجها الى مَأْدُبَةٍ على شرفه، تَيَمُّنًا بسلامة عودة **الآغا**، وكان **القديس يوحنا** يخدم المائدة. وكان من ألوان الطعام الرُّز المفلفل الذي هو مُحبَّب جدًّا لدى الشرقيِّين، وإذ تَذَكَّرت زوجها **الحاج حسن آغا** الذي يحبُّ إلى حَدٍّ كبير هذا النوع من الطعام، قالت **للقديس**: «يوڤان، لو كان سيِّدك هنا وأَكَلَ معنا من هذا الأَرُز، فكم سيكون سروره عظيمًا!» فلما سمع يوحنا ذلك طلب من سَيِّدَتِهِ صحنًا من الأرُز وقال: **أنَّهُ سيُرسِلُهُ الى سيِّده**. ضَحِكَ المدعوون لما سمعوا، وظنُّوا أنَّهُ يقول ذلك من محبَّته لمعلمه، أو أنَّهُ يريد أنْ يأكُل الأَرُزّ وحده على انفراد، أو أنْ يعطيه لعائلَةٍ فقيرة كما آعتاد أنْ يفعل بطعامه اليومي. أنَّى يكُن الأمر فقد قالت السيِّدة للطباخة: أنْ تُعطي يوحنا الصحن الذي يطلب وتركته يفعل به ما يشاء. لم يخطر ببالِ أحدٍ من الحاضرين أنَّ **القديس** لما تَفَوَّهَ بكلماتِهِ تلك كان يعني ما يقوله.

أخذ **القديس** الصحن ونزل الى الأسطبل، حيث اعتاد أنْ يُصَلِّي، وضعه في زاوية الاسطبل، وركع على التبن، وصلَّى من القلب بإيمانٍ عظيم حارّ إلى **المسيح الإله**، كي يستمع طِلبَتَهُ ويَنقُل، بقدرته الكليَّة، الصحن إلى مكَّة. **والله** الذي يستجيب لعبيدِهِ الأُمناء والمتواضعين والأنقياء القلوب، لم يَرذُل تضرُّع يوحنا، هذا الذي يفحص أعماق القلب، ويعرف مكنونات أفكارنا، أدرَكَ بأنَّ طلبتَهُ كانت بِنِيَّةٍ مُقَدَّسة. لأنَّ **القديس يوحنا** سألَ تلك المعجزة لكي تظهر عظمة الإيمان الأرثوذكسي الذي هَزِئَ به العثمانيُّون كثيرًا. لم يطلبها لكي يُمَجَّد هو، بل **ليتعظَّم اسم المسيح**، هكذا فكُلُّ الطلبات التي تصير بتواضعِ قَلب، تهدِف إلى إرضاء **الله** لا يُمكن أن تُرذَل منه، لأنَّهُ دائمًا يُلَبِّي مشيئة عبيده الأُمناء، ناظرًا إلى ما هو نافعٌ لهم.

بعد أنْ صلَّى **القديس** بلجاجة، وبحرارة، وبدالَّة عُظمى، وإذْ بصحن الأَرُز قد اختفى من أمام عينيه. فامتلأ **يوحنا** من الفَرَح، وَشَكَرَ **الله** الذي استجابَ له.

عاد لِلتَّوِ الى المائدة، وقال لربَّة البيت: بأنَّه أرسَلَ صحن الأرز الى معلِّمه في مكَّة. فلمَّا سَمِعَ المدعوون كلامه ضَحِكُوا من هذه الدُعابة التي تفَوَّه بها **القديس**. ولم يُصَدِّق أيٌّ منهم ما تَفَوَّه بِهِ، بل ظَنُّوا أنَّه هو نفسه أكل الأُرُزّ.

كم كانت دهشتهم عظيمة عندما عادَ، بعد أيامٍ قليلة، قائد الفُرسان من سَفَرِهِ مِنَ الحَجِّ، وروى لهم كيف وصَلَ إليه طبق الأُرزّ، حتَّى إنَّهُ

كنيسة القديس جوارجيوس – قرب بيت حسن آغا

سرير القديس يوحنا في الإسطبل

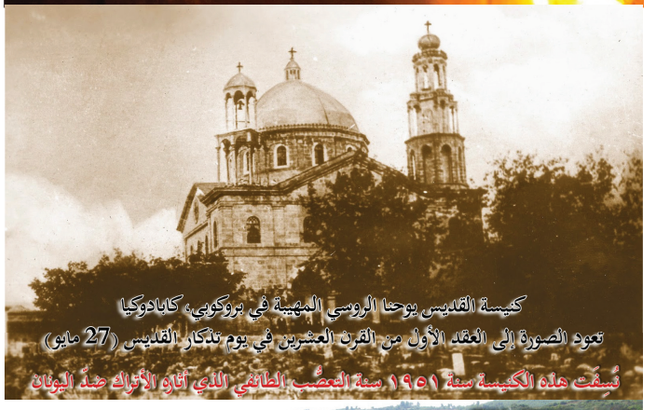
كنيسة القديس يوحنا الروسي المهيبة في بروكوبي، كابادوكيا
تعود الصورة إلى العقد الأول من القرن العشرين في يوم تذكار القديس (27 مايو)
نُسِفَت هذه الكنيسة سنة ١٩٥١ بسبب العصب الطائفي الذي آثاره الأتراك ضدَّ اليونان

أراهم الصحن عينه قائلًا: « قبل بضعة أيام – مُحَدِّدًا اليوم من ذلك الشهر، وهو ذاته يوم المأدُبة – رجعتُ من الجامع الكبير إلى شَقَّتي، وما أنْ فتحتُ باب الغرفة بالمفتاح حتى رأيتُ على المائدة، وأنا مُندَهِش، صحنًا ساخنًا من الأَرُزّ، والبُخارُ يتصاعد منه. الله! صرختُ. مَنِ الذي أحضَرَ هذا الصحن منَ الأَرُزّ، والبابُ مُغلقٌ بإحكامٍ ؟! ولمَّا اقتربتُ منه لكي أَتَفَحَّصَهُ عن كَثَبٍ، صُعِقتُ !!! كم أنتَ كريمٌ يا الله، صرختُ يا للعجَبِ، الصحنُ من بيتي، واسمي منقوشٌ عليه! وبعد أن

استفقتُ قليلًا من مُفاجَأتي، جلستُ وأكلتُ الأُرُزَّ بانشراح. وفي رُجوعي حَرِصتُ على أنْ أَجلِب الصَحنَ معي، لكي أُريكم إيَّاه. عَلَّكم تُخرجونني من حيرَتي التي أنا فيها. بِرَبِّكُم قولوا لي: ما الذي حصَلَ، وكيفَ أرسلتُموهُ إلَيَّ ؟!».

لدى سماع الحاضرين هذا الكلام، بُهِتُوا وَصُعِقُوا بِدورِهم، وأداروا أنظارهم بتَعَجُّبٍ نحو **القديس يوحنا**، الذي لم يَبدُ عليه أيُّ أَثَرٍ للاندهاش. عندها قَصَّت ربَّة البيت على **الآغا** ما حدثَ بالتفصيل قائلة: « طلب يوحنا أثناء تناول الطعام، صحن أُرُزّ، لكي يُرسِلَهُ إليكَ إلى مَكَّة. وقد أعطيناه إيَّاه ونحنُ نضحك، لأنَّنا لم نستطع أن نُصَدِّق بأنَّ الله في الحقيقة سوف يُساعِدُهُ، ويصنع هذه المعجزة الخارقة!».

ذاعت أخبار هذه العجيبة في كُلِّ **بروكوبيو والمناطق المحيطة بها**، والجميع اعتبروا **يوحنا** رَجُلًا صِدِّيقًا ومُكَرَّمًا لدى **الله**، فصَاروا ينظرون إليه باحترامٍ ومهابة، ولم يَعُد أحدٌ يَجسُر على مُضايَقَتِهِ. أمَّا **الآغا** وزوجته فقد أظهَرا له محبَّة أكبر، ورَجوه ألَّا يَنام في الإسطبل، بل أنْ يُقيم في البيت الخاص الذي كانوا قد أعطوهُ إليه قبلًا. لكن **القديس** أَصَرَّ على أنْ يبقَى في الإسطبل الوضيع **مُتَشَبِّهًا بالمسيح**، الأمر الذي كان بالنسبةِ إليه مصدر فرح كبير. هكذا تابَعَ حياته المعتادة في منسكه، مُعتنيًا بالحيوانات نهارًا، وساهرًا على الصلاةِ ليلًا.

فلما تثقَّل بالمعاناة والمشاق والأتعاب، مرض وشعر بدنو أجله، فرجا أحد معارفه المسيحيِّين أنْ يُحضر له كاهنًا لكي يناوله ولكن خاف الكاهن ولم يشأ أن يظهر بالقدسات أمام **يوحنا** لئلَّا **يغيظ الأتراك** ويسيئوا إليه وإلى القدسات. لكنه أرسل له تفاحة جَوَّفها وجعل **الجسد والدم** في قلبها. على هذا ساهم قدّيسنا القدسات وأسلم روحه الطاهرة بين يدي **الله** الحيّ يوم ٢٧ أيار من العام ١٧٣٠ م شرقي الموافق ٩ حزيران غربي. كان قد بلغ من العمر الأربعين.

في شهر تشرين الأول من السنة ١٧٣٣م شعَّ نورٌ فوق **قبر القديس**، وقد رآه الكثيرون فانذهلوا. كذلك تراءى في الحلم للأب زوسيما، كاهن **بروكوبيو**، وقال له إنَّ جسده لم يطرأ عليه فساد وإنَّ إرادة **الله** أنْ يُنبش القبر، وتُتَّخذ بقاياه كبركة ومعونة. وبالفعل نُبش القبر، وأخرجت البقايا المقدّسة فاستبانت سليمة، كما عبق في المكان طيب زكي، حتى انَّ المؤمنين جمعوا التراب العطر الذي كان حول الجسد واحتفظوا به ذخيرة واقية. أمَّا الجسد فوضعوه في تابوت ونقلوه الى كنيسة القديس جاورجيوس في **بروكوبيو** في آسيا الصغرى حيث بقي الى عام ١٩٢٤م حين حمله المؤمنون معهم الى بلاد اليونان إثر عملية تبادل السكان التي حصلت في تلك السنة. ورفاته موفورة اليوم بركةً للمؤمنين في قرية «**بروكوبيو الجديدة**» في جزيرة إيفيا اليونانيَّة، على بعد ٤٩ كم شمالي خالكيذا. **هذا وتعزى الى القديس يوحنا عجائب جمَّة لا زالت تجري الى اليوم، وسنقوم بنشر عجائب القديس يوحنا الرُّوسي لاحقًا.**

دير القديس يوحنا الرُّوسي:

يقع **دير القديس يوحنا الرُّوسي** في شبه جزيرة كاساندرا في خالكيذيكي، شمال اليونان، (انظر الغلاف)، ويبعد عن **مدينة تسالونيكي** حوالي ١١٥ كم. وهو في منطقة منعزلة مليئة بالأشجار، أقيم الدير في وسط الطبيعة حيث يتوفّر هناك الصمت والهدوء بشكلٍ فريد ومميَّز.

تأسَّس الدير في عام ١٩٨٩ من قبل **هيرومونا خو الأب تيموثاوس**، بعد أن أخذ بركة ورؤية من **القديس باييسوس** أن يُبنَى الدير في هذا المكان الذي فيه الآن وليسَ في جبل آثوس.

يحتفل الدير بعيده المركزي وهو **عيد القديس يوحنا الروسي بتاريخ ٢٧ مايو أيّار** حسب التقويم الغربي، **بينما يحتفل به جبل آثوس، وكذلك بطريركيّة الروم الأرثوذكس الأورشليميَّة في ٢٧ أيار شرقي الواقع في ٩ حزيران غربي**، في هذا اليوم تقام صلوات احتفاليَّة بشكلٍ كبير، مع العلم أنَّ **رفات القديس يوحنا الروسي** موجودة في كنيسته المقدَّسة في بلدة بروكويي في جزيرة إيفيا على بُعد ١٢٠ كم **من أثينا**، هناك تقام دورة كبيرة **بجسد القديس يوحنا الروسي غير الفاسد**، في شوارع البلدة حول الكنيسة.

بعد نقل **جسد القديس يوحنا الروسي** من آسيا الصُغرى إلى اليونان، لم يكن جسدة المقدَّس مُحاطًا بالزجاج حفاظًا عليه، فقد تمَّ أخذ ذخائر من جسده المقدس، بطُرق غير سليمة، فكان الشعب يقمع أجزاء من العظام بالقوَّة، الأمر الذي شَوَّهَ صورة الجسد، أثار هذا الأمر **عدم رضى القديس**، فظهر لأحد الآباء في الكنيسة، طلب فيه إرجاع جميع الذخائر التي أُخذت بشكلٍ غير صحيح، أعيدت الذخائر إلى الكنيسة، ووضعت داخل علبة حفاظًا عليها.

أُخِذَ جزءٌ كبير من اليد اليُمنى للقديس يوحنا الروسي، إلى دير پانديليمون للروس الأرثوذكس في جبل آثوس، وهو في آسيا الصغرى، وتمَّ التبرُّعُ بمبالغ طائلة للكنيسة اليونانيَّة في بروكوبي، ليتمَّ من خلالها بناء كنيسة القديس المهيبة في بروكوبي. ووضع جسد القديس غير البالي فيها.

وفي سنة ١٩٢٤ نُقِل جسد القديس من بروكوبي إلى ميناء مرسينا التركي، ومن ثمَّ تمَّ نقل الجسد إلى اليونان.

إلَّا أنَّ هذه الكنيسة نُسِفت سنة ١٩٥١ بسبب التعصُّب الطائفي الذي أثاره الأتراك ضد اليونان.

وفي اوّل شهر تشرين الثاني سنة ١٩٩٢م **وُهِبَ الدير بركة عظيمة بذخيرة من ذخائر القديس يوحنا الروسي**، الموجودة في (اللرانكا = الصندوق المزخرف الذي يحوي الجسد) وذلك حيب رغبة **هيرومونا خو الأب تيموثاوس** ، وهكذا حَظِيَ **دير القديس يوحنا الروسي** في شمال اليونان **بذخيرة من أصبع اليدِ اليسرى**. وفي ٢٥ سيبتمر أيلول سنة ١٩٩٣، تمَّ تدشين وافتتاح الهيكل المركزي (الكاثوليكون) للدير، من قِبَل متروبوليت كاسندرا سينيسيو، في حين أستمدَّ رئيس الدير المتوحِّد تيموثاوس ، الإرشاد والمواهب الروحيَّة من **القديس يوحنا الروسي**، سواءً بالحياة الروحيّة والإيمانيَّة أم بالحياة النسكيَّة، حسب مشيئة الله. فالمواهب الشخصية والفريدة التي حصل عليها الشيخ تيموثاوس **بمعاضدة القديس يوحنا الروسي**، منحته القوَّة للتغلُّب على التجارب والتحديات والإغراءات والصعوبات، والآن وبشكل ثابت وروحي مازال الدير مُحافَظٌ عليه من أبنائه الروحيِّين، وبشكلٍ مميّز وفريد؛ وفي ٢٨ تشرين الثاني سنة ٢٠٢٠ رقد الأب تيموثاوس بالرَّبِّ واستراحت نفسه الطاهرة حيث كانت تتوق أن تكون وتسكن بسلام.

2024 لذكرى مرور مائة عام 1924

لوصول جسد القديس يوحنا الروسي إلى اليونان

وصول جسد القديس
لجزيرة خلكيذا – اليونان
سنة ١٩٢٤

وصول جسد القديس
لميناء مرسينا في تركيا
سنة ١٩٢٤

كنيسة القديس يوحنا
في بروكوبي – كبادوكيا
سنة ١٨٨٦

كنيسة القديس يوحنا الروسي
تستعد للإحتفال لهذا الحدث الفريد
في ٢٧ أيّار سنة ٢٠٢٤

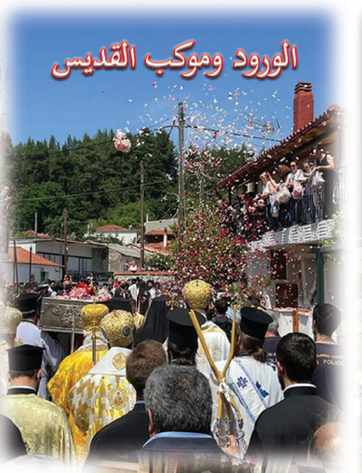
الورود وموكب القديس

عكاز المرأة بعد الشفاء
قرب جسد القديس غير الفاسد

الجماهير الغفيرة تتبارك من الجسد المقدّس

جسد القديس المقدّس

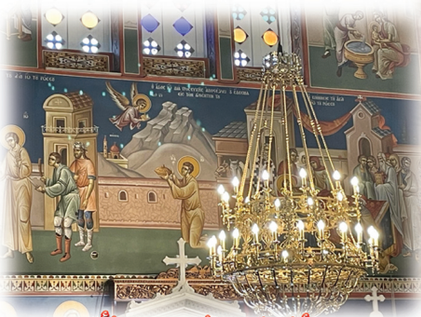
أيقونة إرسال صحن الأرز

الدورة الإحتفاليّة
بجسد القديس

صحن الأرز الذي أرسله القديس إلى مكة، وهو على قيد الحياة

(تتمة من العدد السابق):

٣ – موهبة معرفة المستقبل والعجائب

شهادة **الأب. بولس تسيكنيذا:** في مرَّةٍ أُخرى، زرتُ اليورندا كعلماني سنة ١٩٨٩، كنتُ أُعاني من مشكلة في المعدة، فكنتُ أتألَّمُ للغاية، ولم يَكُن الألم يُفارقني، بالرغمِ من تعاطي الأدوية من حينٍ لآخر، كمُسَكِّن للآلام.

عندما دخلتُ إلى داخل قِلَّايته، كان الشيخ مُستلقيًا، بسبب المرض الذي أَلَمَّ به، أتذَكَّر أنَّ الجميع كانوا يقولون: أنَّ **الشيخ پورفيريوس** سَيُغادر قريبًا إلى أورشليم العلويَّة، لكن **الشيخ بَقِيَ حَيًّا**.

كانت يَدُهُ اليمنى ملفوفة بِقطعٍ من القماش الأبيض كالشَّاشِ الطبي حتَّى مرفق يده. وكان يمسك صليبًا خشبيًّا، كانت قلايَّته مُظلمة، يُنيرها قنديل دائم الإضاءة في موضع الأيقونات في غرفته أمام **أيقونة كبيرة مرسومة لوالدة الإله الفائقة القداسة**.

عندما عاينتُ الهيئة **الملائكيَّة للشيخ**، وأبصرتُ حول وجهه، على السرير الذي كان مُستلقيًا عليه، نورًا ناعمًا، فبقيتُ صامتًا؛ وإذ كنتُ أشعر بالرهبة ممَّا عاينتُ، قلتُ: «صلواتكم أيُّها الشيخ»! فأجابني هو: «**ربّنا يُباركك**».

لقد أَهَّلني **الله** أنا عبده غير المستحقّ والخاطىء، أن تَرى عيناي في هذه المرَّة **الشيخ**، هذه النفس المقدَّسة، مُحاطة بالنورِ الإلهي (النور غير المخلوق)، هذه المُعاينة التي بقيت مطبوعةً بشَكلٍ لا يُمحَى في ذاكرتي، ولا يمكن التعبير عنها بالأقوال.

وللحال سألني: ما هي مُشكلتكَ يا بُنَيَّ، بصوتٍ عذبٍ ناعم، فأجبته: «إنَّ معدتي تؤلمني أيُّهَا الشيخ».

فقال لي: «**تعال بالقربِ من سريري، لأنّي عاجزٌ من النهوض من سريري حتى أتمكَّن من النهوض حتى أُباركك، وأرشمك بعلامة الصليب.**)

وللحال اقتربتُ منه، رَكعتُ، وَقَبَّلتُ الصليب الكريم ويَدَه. وعندها قال لي: «**أين هو الموضع الذي يؤلمك**».

فأشرتُ إليه عن الموضع بالضبط، فصنع إشارة الصليب، بالصليب الذي كان يمسكه، على الموضع الذي كان يؤلمني، وعندها للحال بادرتُ لفتح سُترتي حتى يُصَلِّبني (يرشمني بعلامة الصليب). عند هذه اللحظة سمعتُ الشيخ، يُوَبخني وَكَأَنَّ تَيَّارًا كهرُبائيًّا قد ضربهُ، وهو يقول لي: « **لماذا، ألَا تَمُرُّ البَرَكَة من خارج السُترة يا قليل الإيمان**».

أجبته:« تَمُرُّ، تَمُرُّ وبقوَّةٍ، سامحني أيُّهَا الشيخ على ضعف إيماني».

بعد أنْ صَلَّبني (رشَمَ عَليَّ إشارة الصليب)، قال لي: «**إعلم أنَّ الصليب يمُرُّ من هنا إلى أمريكا، واستراليا وغيرها، فليكُن عندَكَ إيمان أكبر في المرَّةِ الأُخرى**».

فأجبتُهُ: «ليكُن مباركًا أيُّها الشيخ». ضربتُ مطانيّة (أي ركعت وسجدت، بِوَقار)، وأخذتُ بَرَكَتَهُ، وَقَبَّلتُ الصليب الكريم وَيَدَهُ، وغادرتُ مُستفيدًا، ومن عندها لم تُؤلمني معدتي على الإطلاق.

خلال شهر شُباط ١٩٩٠، كَكاهِنٍ جديد، زرتُ مع أحدِ الآباء الرُهبان، **الشيخ پورفيريوس** وأخذتُ بَرَكَتَهُ. كُنَّا عائدين من إحدى زيارات الحَجّ لإحدى المزارات في **كنيسة العذراء الطيبة** الموجودة في **منطقة لوتسا القديمة في أتيكي** وأقمنا هناك ليلة واحدة، عند عودتنا نحو **بلدة كترذيتسا** مررنا من **منطقة أوروپو** حوالي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، وانتظرنا حتى يأتي دورنا كي نَراه.

وعندما جاءَ دورنا، دَخَلَ أولًا الأب المتوَحِّد، ومن ثمَّ دخلتُ أنا. وبعد أنْ أخذتُ بَرَكَتَهُ، قال لي: «**صَلِّ لِأَجلِي، يا أَبَتِي، حتى أُغادِر مُستعدًا إلى الحياةِ الأخرى**».

وبعد أن ضربتُ له مطانيَّة (أي ركعت وسجدت، بِوَقار)، وأخذتُ بَرَكَتَهُ، قال لي: «**إقرأ عن القديس بولس الثيبي**».

فأجبتُهُ: «ليكن مُباركًا أيُّهَا الشيخ».

فقال لي: «**لقد كان القديس ناسكًا عظيمًا، إقرأه، لا تَنسَ !**».

فأجبتُهُ مُكَرِّرًا: «ليكن مُبارَكًا أيُّهَا الشيخ».

بقيتُ مُتَعَجِّبًا ، فلم أَكُن أعرف عندها أيَّ شيءٍ عن **القديس بولس الثيبي**، بالرغمِ من أنَّني أحمل اسم بولس، لم تَكُن لَدَيَّ أيَّةُ فكرة عن هذا الناسك العظيم وبارِّ كنيستنا، عندها. فكنتُ أتساءل على طريق العودة: لماذا لم يطلب منِّي أن أقرأ عن قديسٍ آخر، وإنَّما طلبَ منِّي أنْ أقرأ عن الناسك بولس الثيبي، إذ لم يَكُن يعرف اسمي، ولم يسألني عنه. بالطبعِ، لقد عَرَفَ الشيخ بموهبته الروحيَّة أنِّي أُدعى بولس، وأنِّي لا أعرف سيرة هذا القديس العظيم حقًّا؛ قرأتُ عن البارِّ بولس الثيبي، واستفدتُ كثيرًا.

اليوم أنا كاهن وأخدم في رعيَّة القديس أثناسيوس في **بلدة أُمورفوخوريُو** (القرية الجميلة) في **منطقة لارِسا**. سنة ١٩٩٣ تعرَّفتُ على سيِّدة تُدعى **ماريًّا**. جاءت مع إحدى الراهبات من كورنثوس إلى الكنيسة الصغيرة في رَعِيَّتنا التي تُكَرِّم القديسين الجُدُد الأبرار والشُهداء: رفائيل، نيقولاوس، وإيريني البتول الشهيدة، حتى تمرّ للسجود والتَبَرُّك. وبعد أن تَبَرَّكوا (أخذوا البَرَكَة)، دار بيننا حديثٌ روحانيٌّ، لم أَحتَج لوقتٍ طويل حتى أفهم الحالة الروحيَّة الجيدة (المتقدمة) **للسيِّدة ماريًّا**، فكانت تتمتَّع: بالتقوى، المحبة، الإحسان والكثير من التواضع.

وفي سياق الحديث الدائر بيننا سألتني **السيِّدة ماريًّا**: « هل تعرَّفتَ أيُّهَا الأب بولُس على الشيخ المغبوط پورفيريوس؟» فأجبتُها: « نعم أيَّتُهَا السيِّدة ماريًّا». فقالت لي: «لقد شفاني الشيخ پورفيريوس من مرض السرطان، منذ خمس سنوات تقريبًا، كان قد انتشر في مواضع عديدة في جسدي، وكنت في المرحلة الأخيرة المتقدمة، أنتظر فيها ساعة الموت والفراق؛ وعندما قُمنا بزيارة الشيخ زوجي وأنا في **أوروپو**، صَلَّى عَلَيَّ، فَشُفيتُ. **السيِّدة ماريًّا**، تعيش في **مدينة لارِسا** مع زوجها، وهي الآن متقدمة في العمر، نشكر الله، لتكن صلاة **الأب البارِّ پورفيريوس** معنا!.

التتمة في العدد القادم

القديس بولس الثيبي الناسك العظيم

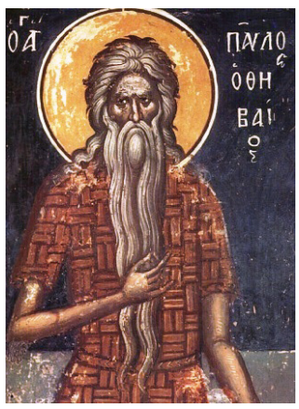

هو **أوَّل ناسك** شَهِدَ له التاريخ، وُلِدَ **القديس بولس** في ثيبة (صعيد مصر) أيام **الإمبراطور الروماني الكسندروس ساويروس** قرابة العام ٢٢٨م، لعائلة غنيَّة، تثقف باللسان اليوناني والقبطي وتربى تربية مسيحِيَّة صالحة. فَقَدَ **بولس** والديه وهو في الخامسة عشرة من العمر وكانت له أخت وحيده تزوجت. فلما ثارت على كنيسة **المسيح** موجة **الأضطهاد** حركها **داكيوس وفاليريانوس**، اختبأ **بولس** في بيت وسط الحقول، ولكنه لما عَلِمَ أنَّ صهره عزم على إبلاغ الجنود عنه، آملًا في وضع اليَدِ على ميراثه، فقام وهرب إلى مكان أبعد.

طاب له التوغُّل في الصحراء، وقد استمر إلى أن بلغ جبلًا استبان فيه ما يشبه الكهف، فشقَّ طريقه عبر **درائد نخلة** (**درائد = ميل واعوجاج الأغصان والفروع**)، كانت على تَشابك وكثافة سدًّا للمكان. فإذْ به أمام صحن واسع، وبقرب النخله مياهٌ رقراقة تجري قليلًا ثم تغور في الأرض، وقد بدا أنَّ الموضع سبقت السُكنى فيه. آثار بيوت صغيرة وإزميل وسندانات ومطارق، هذه التسهيلات المعيشِيَّة البسيطة جعلت **بولس** ينظر إلى المكان وكأنَّ العناية الإلهيَّة هيَّأته ليكون له نَزْلًا. لقد وفَّرَ له المكان والطعام والشراب والمسكنَ، حتى ثوبه صنعه من جرائد النخيل. ما خلا ذلك انصرف **بولس** بالكليَّة إلى الصلاة والتسبيح.

عندما بلغ **القديس أنطونيوس الكبير** التسعين من العمر، خطر بباله فكرٌ أنَّهُ لم يقم أحدٌ قبله في الصحراء، فجاءَهُ في رؤى الليل: أَنَّ ثَمَّة من في الصحراء أعرَف منه وأخْيَر، وعليه أنْ يُسرع الخُطى إليه. وفي الصباح انطلق **أنطونيوس** يبحث عن ذاك الذي قَبْلَهُ، وفي الطريق وجد وحشًا نصفه إنسان ونصفه حصان، فحسبه شيطانًا وإذْ رسم إشارة الصليب سأله باسم الله أنْ يدله على مكان خادم الله، فأخرج الوحش أصواتًا غير مفهومة، وأشار بذراعه إلى الموضع واختفى. وتابع **أنطونيوس** سيره فالتقى من جديد في وادٍ مُحجّر، وحشًا شكلُه ما بين الإنسانِ والماعزِ يدعونه «**ستير**»، تبع **أنطونيوس** أثر خُطى الحيوانات يومين كاملين، أُخبر عن الكهف من بعيد، فأسرع **أنطونيوس** الخُطى، وارتطم بالحجارة وتدحرجت. سمع **بولس الناسك** ردم الحجارة فأغلق باب الكهف، كانت هذه أوَّل مرَّة يخترق فيها أحدٌ هدوء **بولس**. عندها ارتمى **أنطونيوس** أرضًا على عتبة الباب راجيًا **بولس** ألَّا يحرمه من التعزية مؤكدًا أنَّهُ لنْ يغادر المكان قبل أنْ يحظى ببركته أو يموت عند الباب.

فما كان من **بولس** سوى فتح الباب له، ثم رفع الإثنان صلاة الشكر. بكى **أنطونيوس** عندما أعلمه **بولس** أنَّهُ وقت رقاده قد حان، وطلب منه أنْ يذهب ويحضر له الرِّداء الذي سبق **لأثناسيوس الأسقف** أن وأعطاه **لأنطونيوس**. سار **أنطونيوس** في طريق العودة إلى ديره، ففرح به تلاميذه وبدل أنْ يخبرهم عن **بولس** أخذ يقرع على صدره ويقول: «لقد رأيت إيليا، رأيت يوحنا في البرية.. رأيت بولس في الفردوس». ثم نهض وتناول الرِّداء وذهب مُسرعًا إلى كهف **بولس**، وهو في الطريق بعد مضي ثلاث ساعات من السير، فجأة رأى **بولسَ** صاعدًا إلى السماء. وعندما وصل الكهف وجد جسد **بولس** في حالة الركوع، فظنَّ أنَّهُ ما زال حيًّا فركع بجانبه واخذ يُصلي، ولمَّا لاحظ أنَّ **بولس قد رقد**، أراد حفر حفرة ليدفنه فلم يجد ما يستعين به في نبش حفرة، وإذْ **بأسدين يظهران من عمق الصحراء ويتقدمان ليربضا** عند **جسد بولس** وهما يزأران وكأنهما بحالِ نحيبٍ، ثم أخذَا يحفران الأرض بمخالبهما إلى أنْ عَمِلَا حفرة تكفي لضم **جسد بولس**، وهكذا دُفن **البارُّ بولس القديس**.

(من الموقع)

https://www.goarch.org/ar/chapel/saints?contentid=386&language=ar

العظة الثانية
الذين يحبُّون الله

للمخاطر والشدائد والمكائد والضيقات، هذا ما أشارَ إليه سفر الأعمال: « ... فَقَامَ الْجَمْعُ مَعًا عَلَيْهِمَا، وَمَزَّقَ الْوُلاَةُ ثِيَابَهُمَا وَأَمَرُوا أَنْ يُضْرَبَا بِالْعِصِيِّ. فَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا ضَرَبَاتٍ كَثِيرَةً وَأَلْقُوهُمَا فِي السِّجْنِ، وَأَوْصَوْا حَافِظَ السِّجْنِ أَنْ يَحْرُسَهُمَا بِضَبْطٍ...» (أعمال الرُسل ١٦:١٩-٢٣).

هكذا ترك الله رُسُلَهُ **يتعرَّضون لكُلِّ هذه المصاعِب والشدائد**، فقد سَمَحَ بأنْ يُجْلَد بولُس وسيلا ويُلقَى بهما في السجن. لكن هنا تحديدًا ظهرت قوّة الله، كما يقول هو ذاته: « فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ، لِذلِكَ أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لأَجْلِ الْمَسِيحِ.» (٢كو ١٢:٩-١٠). هكذا حَوَّلَت نعمة الله هذِهِ الضيقة الشديدة التي تعرَّضَ لها بولس وسيلا إلى خيرٍ لهما. فلم يَنشغِلا أبدًا بالآلامِ كما هو واضحٌ، إذْ كانا يُصَلِّيان ويُسَبحانِ الله، وتَحوَّلَ **السجنُ إلى كنيسة، وتَقَدَّسَ المكان كُلُّهُ بالصلاةِ والتسبيح**. فقد دخَلَ صوت التسبيح المُقَدَّس إلى نَفسِ كُلِّ مسجون وأعادَ تكوينَهُ مرَّةً أُخرى. لأنَّ العزاءَ قد شَمَلَ الجميع، فهذا التسبيح فَكَّ قُيود المسجونين أيضًا، وفتح أبواب السجن. لقد صارَ السجنُ، والضَربات، والقيود، سَبَبًا للخيرِ ودافعًا لتحقيقِ النُصْرَةِ.

تمهيد:

يتكلَّم **الرسول بولس** هنا عن أولئك الذين يتعرَّضونَ للمَخاطِرِ، وليسَ هذا فقط، لكنَّهُ يُشير أيضًا إلى الأمورِ التي قيلَت قبل هذا: «فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا.». وأنَّ «كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ»، وقوله: «لأَنَّنَا بِالرَّجَاءِ خَلَصْنَا» وَ: «فَإِنَّنَا نَتَوَقَّعُهُ بِالصَّبْرِ.» وَ: «لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي». (رو٨:١٨،٢٢،٢٤،٢٥،٢٦). كلُّ هذه الأقوال قيلَت للذينَ يَتعرَّضُونَ للأخطارِ، فهو يُعَلِّمهُم بِأَلَّا يَعطوا اهتمامًا أكثر للأشياءِ التي يعتقدون بأنَّها تُحَقِّق منفعةً. بل يجب أنْ يُفَضِّلوا عليها الأمور التي هي بحسبِ الرُّوحِ. خاصَّةً وأنَّ كثيرًا من تلكَ الأمورِ التي تبدو لهؤلاءِ أنَّها نافعةٌ تتسَبَّب مرَّاتٍ كثيرة في حدوثِ خسارةٍ كبيرةٍ. إذًا مِنَ الواضِحِ أنَّ الرَّاحَةَ، والتَخَلُّصِ منَ الأَخطارِ، والحياة في أمان، هي التي يَسعى إليها هؤلاء.

والمُدهِشُ أنَّهُ قد اتَضَحَ لهؤلاءِ أنَّ الأمانَ ليسَ في طلب الرَّاحَةِ بالطريقَةِ التي يتَصَوَّرونها – وهذا ما حدث للموطَوَّب بولس نفسه. لقد عرَفَ فيما بعد، أنَّ الأمور النافعة هي في تتميم مشيئة الله، وإذْ عَرَفَ هذا فقد امتَثَلَ لهذه المشيئة. وهو الذي تضَرَّعَ إلى الله ثلاثَ مرَّاتٍ لِيُخَلِّصَهُ من الآلام، لكن حين سَمِعَ الله يقول: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كو١٢:٩). كان يُسَرُّ عندما يُطرَد ويُشتَم وَيُعَاني من آلام لا تُشفَى، ولهذا قال: « أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لأَجْلِ الْمَسِيحِ.» (٢ كو ١٢:١٠). و «لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ»، وَنَصَحَ الجميعَ بِأنْ يَسْمَحُوا **للرُّوحِ القُدُس** أنْ يُتَمِّمَ فيهم مشيئة الله. خاصَّةً وأنَّ **الرُّوحَ القُدُسَ** يعتني بِنَا جِدًّا.

إذن بعدما أَعَدَّهم بِكُلِّ الطُرُقِ، أضافَ ما سَبَقَ وقالَهُ لكي يدفعهم إلى أنْ يكون لهم فكرٌ مستقيم. لأنَّهُ: «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ.» (رو٨:٢٨). لكن عندما يقول: «كُلُّ» فهو يقصد تلك التي تبدو مُؤلِمةً. لأنَّهُ سواءً كانت ضيقًا، أم فقرًا، أم سجنًا، أم جوعًا، أم موتًا، أم أيَّ شيءٍ آخَرَ يحلُّ بِنَا، فإنَّ الله قادِرٌ أنْ يُحَوِّل كُلَّ هذا إلى عَكْسِهِ. لأنَّ هذه هي قُوَّتُهُ التي لا تُوصَف، أي أنْ يجعل ما كان يبدو ثقيلًا، خفيفًا لأجلِنَا، وَيُحَوِّلهُ

لِتَثبيتِنا. ولهذا تحديدًا لم يَقُل: إنَّ الذين **يُحبُّون الله** لا يُصيبهم شيءٌ، بل إنَّها «تعمل (معهم) للخيرِ» بمعنى أنَّهُ يستخدِم هذه الأمور السَّيئة لمَسَرَّةِ مَن تُكَادُ لَهم الدَسائس، وهذا ما يُعَدُّ أعظَمَ بكثيرٍ من أنْ يمنع الشرور من أنْ تأتي، أو أنْ يمحوها عندما تحدث. هذا ما صنعه في أتونِ بابل (مع الفتية الثلاثة). لأنَّهُ لم يمنع إلقاءهم في الأتونِ، ولا أطفَأَ اللَّهب، عندما أَلْقَوْا بهؤلاءِ القديسين في الأتونِ، بل تركهم يُشاهِدونَ المعجزة التي صنعها معهم.

وقد صَنَعَ مُعجِزاتٍ مُماثِلَةً مع كُلِّ الرُسُلِ. فإنْ كان في مقدورِ أولئك الذين يسلكون بِحِكْمَةٍ، أنْ يُحوِّلوا طبيعة الأمورِ إلى ما هو عكسها. إلَّا أنَّهم فَضَّلُوا أنْ يَعيشوا في فَقْرٍ، وبهذا صاروا أَغْنَى من الأغنياء، وأكثر بهاءً منهم، رغم أنَّهم لم يَنالوا تقديرًا مُناسِبًا، هكذا سيصنع الله مع أولئك الذين يُحِبُّونَهُ، ليس هذا فقط، بل وأكثر جدًّا من هذا. إذًا الأمرُ يحتاج فقط إلى محبَّةٍ حقيقيَّةٍ للهِ، وكُلُّ الأمورِ الأُخرى ستَتَحَقَّقُ. فتلك الأُمور التي تبدو ضَارَّة لهؤُلاءِ، هي في الحقيقةِ نافِعةٌ لهم، أمَّا بالنسبَةِ لأولَئك الذين **لا يُحبُّون الله**، فإنَّ الأمور التي تبدو نافعةً لهم، ستكون ضارَّةً. إذًا فقد سَبَّبَ ظهور المعجزات، وأيضًا فلسفة التعليمِ، واستقامَةُ العقيدةِ، ضَرَرًا بالنسبَةِ لليهودِ، فإنَّهم بسبَبِ هذه المُعجِزاتِ، زَعموا أنَّ **الرَّبَّ يصنعها بقوَّةِ الشيطان**، بينما كان ينبغي أنْ يحدث العَكس بسبب هذه المعجزات، ولأجلِ هذه المعجِزات شَرعوا في أنْ يقتلُوه، أمَّا اللِّص الذي صُلِبَ معه، والذي سُمِّرَ، وأُهينَ، وعَانى شرورًا كثيرة، فإنَّهُ لم يَخسَر مُطلَقًا، بل بالحَرِيِّ رَبِحَ الكثيرَ جدًّا.

أرأيتَ كيفَ أنَّ الذينَ يُحِبُّونَ الله، كُلُّ الأشياء تعمل معهم للخير؟ إذًا بعدما تكلَّمَ عن هذا النعيم الوافِر، الذي يفوقُ الطبيعة الإنسانيَّة بكثير، والذي يبدو للكثيرين أنَّ تحقيقَهُ أمرٌ مستحيلٌ، هذا قد أكَّدَ عليه بقولِهِ: «الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ.» (رو ٨: ٢٨). إذًا انتبه للدعوةِ التي قيلَت. لماذا لم يَدْعُ الجميعَ مِنَ البداية، ولا حتى **بولس نفسه** قد دعاه مع الآخرين مُباشرةً؟ ربما يبدو لك أنَّ هذا التأجيل، كان غير نافع؟ **كلَّا**، لقد أظهَرَ العَكسَ، من جهة الأمور ذاتها، إنَّ التأجيل كان مُفيدًا. لأنَّ الله لا يُريدُ أنْ يَهبَ كُلَّ شيءٍ في الدعوة، فلو حدث هذا، لكان اليونانيُّون واليهود قد اختلفوا. إذًا لو كانت الدعوة وحدها كافية، فَلِأَيِّ سبب لم يَخلُص الجميع؟ ولهذا يشرح **الرسول بولس** أنَّ الأمرَ لا يتعلَّق بالدعوةِ فقط، بل أنَّ إرادة أولئك المدعوِّين كان لها دور في الخلاصِ. لأنَّ الدعوة لم تَكن إجباريَّة ولا قَهريَّة. فالمُؤَكَّد أنَّ الجميع قد دُعُوا، لكن ليسَ الجميع أطاعوا.

الذين يحبُّون الله
(كل الأشياء تعمل معهم للخير)

دَيْنُ المحبَّةِ:

أنا قادِمٌ إليكم اليوم بعد وقتٍ ليسَ بالقليل، وينتابني إحساس بأنَّ غيابي عنكم قد طال كثيرًا. فأنا وإن كنتُ حبيس المكان بسبب مرضي الجسدي، إلَّا أنَّني كنتُ أشعر دائمًا بأنَّني بعيدٌ عن محبتكم. لأنَّ من يعرفُ أنْ يُحِبَّ كما ينبغي، عندما لا يتمكَّن من التواجد مع مَنْ يُحِبُّ، حتى وإن كان يعيش في نفس المدينة. فلن يشعر البتَّةَ بحالةٍ أفضل من حالة أولئك الذين يعيشون في بلدٍ غريبٍ، وهذا الأمر يعرفه كُلُّ من يُحِبّ. إذًا فلتغفروا لي غيابي عنكم، لأنَّ هذا الغياب لم يكن بسبب اللامبالاة، بل صمتي هذا كان ناتجًا عن **المرض الجسدي**. وبالطبع أنا أعرف أنَّ جميعكم يفرح الآن، لأنَّني تجاوزتُ المرض وتعافيت، لكنَّني الآن أفرح لرؤية وجوهكم المحبوبة، والتمتُّع بمحبَّة الله في رفقتكم. وكما أنَّ الكثيرين من البَشَر بعد أنْ ينالوا الشفاء من المرض، يطلبون زجاجات وكؤوس الماءِ البارد، هكذا صارت محبّتكم بالنسبَةِ لي أكثر عذوبة من أيِّ شيءٍ آخر، وهذا مدعاة لفرحي، ودافعٌ لمسرَّتي.

إذًا طالما أنَّنا تمتعنا، بمحبة الواحد للآخر بنعمة الله، فينبغي أنْ أَرُدَّ لكم دَيْنَ المحبَّة، وإنْ كان هذا الدين لا يمكن ردُّه أبدًا. فإنَّ ديني والتزامي نحوكم لا حدود له، لأنَّه بقدرِ ما يُعطى (هذا الدين)، على قدرِ ما يزداد أيضًا. وكما أنَّه فيما يتعلَّق بالمال، نمتدح أولئك الذين هم غير مدينين بشيءٍ لأَحدٍ، هكذا هنا (في مجال الحُبّ) نحن نُطَوِّب المدينين بالكثير. لذلك فإنَّ مُعلِّم المسكونة يكتب قائلًا: «لاَ تَكُونُوا مَدِينِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (رومية ١٣: ٨)، لأنَّه أراد لنا أنْ نُسَدِّد هذا الدين دومًا، وأنْ نَظلَّ مدينين به بصفةٍ دائمة، وألَّا ينقضي هذا الالتزام حتى تنتهي هذه الحياة الحاضرة. وكما أنَّ المدين بالمال يشعر بالثِّقَلِ والضِّيق، هكذا فإنَّ غير المدين بهذا الدين (دين المحبَّة)، يكون مستحقًّا اللوم. ولكي تعلم أنَّ الأمر هكذا يحدث، إستمع إلى حكمة ذلك المعلِّم المُدهِش، كيف نَصَحَ بهذا الأمر، لأنَّه بعدما قال: «لاَ تَكُونُوا مَدِينِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ» أضافَ: «إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا»، مُتَمَنِّيًا الفائدة لجميعنا، وأنْ يبقَى هذا الدين ثابتًا على الدوام. لأنَّ هذا الدين (المحبَّة)، بشكل أساسي، هو يجعل حياتنا تنضبط وتتوازن وتُصبح في انسجامٍ وتوافقٍ دائم.

إذًا بعدما عرفنا مقدار الربح الذي يأتي من وراء هذا الدين، وبقدر ما يُرَدُّ ويُسَدَّدُ بقدر ما يزداد الربح، فإنَّ دَيني الذي أنا مدينٌ به لكم، لم يأتِ بسبب عدم المُبالاة، ولا بسبب الجحود، بل بسبب المرض الذي حَلَّ بي. لذلك أجد لزامًا علَيَّ في هذا اليوم أنْ أُسَدِّدَهُ، بقدرِ ما استطيع، مُتحدِّثًا إلى محبتكم بكلماتٍ قليلة، مُتَّخِذًا من معلِّم المسكونة المُدهِش، موضوعًا لحديثي. فلنسترجع اليوم ما قاله في رسالته إلى رومية، ولنضَع أمام محبتكم هذه الوليمة الروحيَّة لوقتٍ قليل. لكن هناك احتياجٌ لأن نتكلَّم عن محتوى هذا الجزء الذي قُرِئَ. لكي تتذكَّروا كُلّ ما قيل، وتَقبلوا، ما سأتكلَّم عنه بسهولَةٍ كبيرة. يقول الرسول بولس: «ونحنُ نعلم أنَّ الذين يحبُّون الله كلُّ الأشياء تعمل معًا (أي معهم) للخير» (رو ٨: ٢٨) (هكذا جاءت صياغة الآية في النَصِّ اليوناني). ماذا يعني بهذا الاستهلال؟ لأنَّ هذه النفس الطوباويَّة لا تَقُل شيئًا بالمُصادَفَةِ، ولا بدونِ سببٍ، بل أنَّها تُقَدِّم دومًا الأدوية الرُّوحيَّة المُناسبة للتخفيفِ من الآلام الحالَّة.

إحتمال التجارب:

إذًا ماذا كان يعني بهذه الكلمات؟ لأنَّ تجارب كثيرة قد أحاطت من كُلِّ جانب بأولئك الذين آمنوا، وَحِيَل العَدُوِّ لم تنقطع، والمَكائد

كانت مستمرّة، والحروب ضِدَّ الكرازة لم تهدأ، حيثُ أُلقِيَ بالبَعضِ في السُّجون، والبعض الآخر أُقتيدَ إلى النفي، والبعض الآخر تعرَّضَ لعذاباتٍ كثيرة، لذلك فإنَّه مثل قائد الجيش المُميَّز، عندما يرى العدُوّ غاضبًا جدًّا، فإنَّه يتجوَّل بين جنوده لِيُحَفِزهم، ويُشَجعهم، ويجعلهم مُهَيَّئين لمُواجهة الأعداء. ولا يخشون هجماتهم، بل بالعَكسِ يقفون بِثباتٍ وصلابة، ولا يَخافون شيئًا وهم يُقاوِمُونهم. بنفس الطريقة يسلك هذا الطوباوي الذي يحمل نفسًا سماويَّة، حيث يُحفِّز ويُشَدِّد نفوس المُؤمنين، ويسمُو بِأفكارهم، تلك التي كانت وكأنَّها مطروحة أرضًا، فبدأ كلامه قائلًا: « وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ» (رومية ٨:٢٨).

أرأيتَ مدى تَعقُّل وحكمة **الرسول بولس؟** لم يَقُل «**أعلم**»، بل « وَنَحْنُ نَعْلَمُ »، فجَذَبَ هؤلاء أيضًا إلى قبول هذه الكلمات «أنَّ الذين يُحِبُّون الله، كُلَّ الأشياء تعمل معهم للخير». إنتبه إلى مدى دِقَّةِ كلمات **الرسول بولس**، لم يَقُل إنَّ الذين **يُحبُّون الله** يتَجَنَّبون أو يَتفادون المَشاقَّ والشدائد، ويَنجُون من التجارب، بل قال: «وَنَحْنُ نَعْلَمُ »، أي **نحنُ نَثِق**، نحن متأكِّدون، ونملك الحُجَج والإثباتات من الخبرة التي لنا تُجاه هذه الأمور. «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ» (رومية ٨:٢٨).

كم مِنَ القُوَّةِ تحملها هذه العبارة كما تتصوَّرن؟ يقول: إنَّ «كلَّ الأشياء تعمل معهم للخير». ولا تُحدثني هنا عن الخيرات، ولا تُفكِّر في الرَّاحَةِ والأمان فقط، بل بالعَكس، أيْ فكِّر **بالسجون، والضيقات، والمَكائد، والهجمات اليوميَّة**، وحينئذٍ سترى بِدِقَّةٍ **قوَّة هذه الكلمات**. ولكي لا أقودَ محبتَكم بعيدًا إلى اتِّجاه آخر، فلنتذكَّر بعض الأمور التي حدثت للطوباوي، وسترى مدى **قوَّة هذه الكلمات**.

فبينما ذهبَ إلى كُلِّ مكان، زارعًا كلمة التقوى، نازعًا الأشواك من جذورِها، مُجاهدًا لترسيخِ الحقيقةِ في نفسِ كُلِّ أحدٍ، وصل إلى **مدينة تابعة لمنطقة مكدونية**، كما يروي لنا **الطوباوي لوقا**، الذي كتبَ سفر أعمال الرُسل. وإذْ **بجارية بها روح عرافة**، وهذه لم تهدأ قطُّ. بل كانت تتبع الرُسُل في كُلِّ مكان، وأرادت أنْ تُعَرِّف الجميع بِهِم **بِمُساعدة الشيطان**، وكانت تفعل هذا أيامًا كثيرة، فَضَجِرَ الرسول بولس والتَفَتَ إلى **الروح (النجس)** وَأَخرَجَهُ منها، وحرَّرها **من هذا الشيطان الخبيث**، بقوَّةِ **الكلمة**. وبينما كان ينبغي على سُكَّان المدينة أنْ ينظُروا إلى الرُسُلِ باعتبارهم فاعِلِي خير، ومُنقِذين لهم، وأنْ يعتنوا بهم بِكُلِّ الطُرُقِ الممكنة، وأنْ يُكافِئُونهم من أجلِ هذا الخير الوفير الذي صنعوه، إلَّا أنَّهم كافأوهم بما هو عكس ذلك. واسمع بِأَيِّ شيءٍ قد كافأوهم يقول: «فَلَمَّا رَأَى مَوَالِيهَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ رَجَاءُ مَكْسَبِهِمْ، أَمْسَكُوا بُولُسَ وَسِيلاَ وَجَرُّوهُمَا إِلَى السُّوقِ إِلَى الْحُكَّامِ. وَإِذْ أَتَوْا بِهِمَا إِلَى الْوُلاَةِ، قَالُوا: «هؤُلاَءِ الرَّجُلاَنِ يُبَلْبِلاَنِ مَدِينَتَنَا، وَهُمَا يَهُودِيَّانِ، وَيُنَادِيَانِ بِعَوَائِدَ لاَ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْبَلَهَا وَلاَ نَعْمَلَ بِهَا، إِذْ نَحْنُ رُومَانِيُّونَ». فَقَامَ الْجَمْعُ مَعًا عَلَيْهِمَا، وَمَزَّقَ الْوُلاَةُ ثِيَابَهُمَا وَأَمَرُوا أَنْ يُضْرَبَا بِالْعِصِيِّ. فَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا ضَرَبَاتٍ كَثِيرَةً وَأَلْقُوهُمَا فِي السِّجْنِ، وَأَوْصَوْا حَافِظَ السِّجْنِ أَنْ يَحْرُسَهُمَا بِضَبْطٍ.» (أع ١٦:١٩-٢٣).

أرأيتم **الشَرَّ الشديد** الذي لسُكان تلك المدينة؟ أرأيتم مدى صبر وَجَلَادة واحتمال الرُسُل ؟ إنتظروا قليلًا وستَرَوْا **محبَّة الله** الفائقة نحوهم. وذلك حتى تزداد عقوبات الأعداء، ويُظهر صبر مُجاهديه في تلك الحوادث، عندئذٍ يُظهر قُوَّته حتى لا يُكون لِأَحَدٍ أنْ يقول: إنَّهم يندفعون نحو المخاطر، لأنَّهم واثقون أنَّهم لن يُضَاروا بأيِّ شيءٍ من الأمور المُحزنة. ولهذا تحديدًا **يترك الله** البعض في الشدائد والمصاعب، مُظْهِرًا حكمة خَفِيَّة، ويُنَجِّي البعض الآخر. ولكي تُعرف **محبَّته الفائقة نحو البَشَر في كُلِّ شيء**، وأنَّه يَدَّخِر لهؤلاءِ مكافأت عظيمة، فإنَّه يسمح في مرَّات كثيرة أنْ تمتدَّ بهم الشدائد، هكذا يصنع في هذه الحالة. لأنَّه بعد هذه المعجزة العظيمة، والإحسان الذي أظهروه بإخراج الشيطان، سمحَ بأنْ يُجْلَدَا، وأنْ يُلقَى بهما في السجن.

لأنَّ مِن هُنا تحديدًا، ظهرت **قوَّة الله**. ولذلك قال **المُطوَّب بولس**: «فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ. لِذلِكَ أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لأَجْلِ الْمَسِيحِ.» (٢كو ١٢:٩-١٠) ، وأيضًا يقول: «لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ»، داعيًا التجارب التي لم تنقطع، بالضعف.

لكن من الممكن أنْ يُعَبِّر أحدٌ عن حيرته هنا، مُتسائِلًا: لماذا أخرجوا الشيطان الذي لم يَقُل أيَّ شيءٍ ضِدَّهم، بل رُبَّما جعلهم معروفين للجميع، إذ أنَّه كان يصرخ لأيَّامٍ كثيرة قائلًا: «هؤُلاَءِ النَّاسُ هُمْ عَبِيدُ اللهِ الْعَلِيِّ، الَّذِينَ يُنَادُونَ لَكُمْ بِطَرِيقِ الْخَلاَصِ.» (أع ١٦:١٧). لا تستغربوا أيُّها الأحباء، لأنَّ هذا أيضًا كان عمل **نعمة الرُّوح القُدُس** وحكمة بولس. لأنَّه وإنْ كان لم يَقُل أيَّ شيءٍ ضدَّهم، إلَّا أنَّه لكي لا **يُصبح الشيطان** بسبب هذا الكلام، موضع ثقة، بل ويمكنه في الأمور الأُخرى أن يجذب البُسطاء من الناس، لذلك فإنَّ **الرسول بولس** بعدما أسكته، أخرَجَهُ على الفور، حيث لم يسمح له أنْ يتكلَّم في أمور لا يستحقُّ أنْ يتكلَّم فيها. وحين يفعل ا**لرسول بولس** هذا، فهو يتبع **سَيِّده**، لأنَّ **الشيطان** أيضًا اقترب **من السيِّد المسيح**، وقال له: « أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ: قُدُّوسُ اللهِ!» (لوقا ٤:٣٤). وبالرغم من أنَّه قال هذا، فقد أخرجه. وحدث هذا لتأنيب ولوم اليهود السُفهاء، لأنَّهم بالرغم من أنَّهم كانوا يرون معجزات وأمورًا مُدهشة تحدث كُلَّ يوم، لم يُؤمنوا، بينما **الشياطين** عرفوا **المسيح** جيِّدًا، واعترفوا **بأنَّه ابن الله**.

يتبع في العدد القادم

القديس ايرونيموس السيمونوبتراس

كان في هدوءٍ وسلام، تحت القصف العنيف

طُلِبَ من **القديس ييرونيموس السيموبتري**، إغلاق الكنيسة لأسبابٍ أمنيَّة. لم يوافق **القديس**، إذ أرادَ أن يظَلَّ وَفِيًّا لواجبه.

« أيُّها الأب: لا تُقِم قُدَّاسًا غدًا. الوضع خطيرٌ جدًّا».

« أُسكت، صَمتًا!».

« أيُّها الشيخ: رجاءً! لقد ساءَ الوضع. كلَّ يوم تسقط القذائف حولنا. نحنُ نخشى مغادرة المنزل. كما أنَّنا قَلِقُون عليكَ أيضًا».

برباطة جأش استمع **الأب ييرونيموس** إلى الأشخاص الذين وَصَلوا في الأيام القليلة الماضية، قَلِقينَ جدًّا، إلى **إسقيط الصعود** في منطقة **بايرون (قرب أثينا) في أتيكي**، وهو **إسقيط يتبع دير سيمويتيرا في جبل آثوس**. لقد أرادوا سلامة الشيخ بقدرِ ما أرادوا أيضًا أنْ يَجِدوا ملجأً في هيئته السلاميَّة.

قال لهم: «أُسكُتوا، أُسكتوا». وصلَّى سرًّا قانون **الصليب المقدَّس، ومديح مريم العذراء**. لقد كان يؤمن بعمقٍ بقوَّة **المسيح**، وبالتالي لم يفقد سلامه أبدًا.

في سنة ١٩٤٣، كانت **بايرون** مركز الفصائل المتحاربة. كانت السفن البريطانيَّة الرَّابضة في ميناء بيريًّا، تقصف المنطقة. فيما كان **الأب ييرونيموس** يُقيم القداس الإلهيّ. طُلِبَ منه إغلاق الكنيسة لأسبابٍ أمنيَّة ولم يقبل.

خارج الهيكل كانت القذائف والصواريخ كالمطر. في لحظةٍ ما، سُمِعَت نقرَةٌ رهيبة. ثمَّ أُخرى فأُخرى. بدأت حجارة الكنيسة والجصِّ في التساقط. كان الناس مرعوبين يبحثون عن طريقة للهروبِ والخلاص.

«لا تتحرَّكوا!». أَسرَهم صوت الكاهن المُوَقَّر جميعًا. في الباب الملوكي وقف هادئًا: «أنا أكفل لكم أنَّكم حتى لن تتغَبَّروا!! بعد قليل المناولة. تتناولون وتعودون إلى بيوتكم بهدوء.»

في ذلك اليوم، تناول الجميع جسد ودم **المسيح** الإلهيَّيْنِ ، وكما اعترف شاهِدُ عيان: «مضوا إلى بيوتهم من دون غبار، بالرغمِ من وجود أكوامٍ من الأنقاض مُبعثرة حولهم. أمَّا الأذى الذي لَحِقَ بالهيكل، قد تمَّ إصلاحه بخمسة عشرة دقية. كمثلِ خليَّة النحل، تعاون الكثيرون وتبرَّعوا بالمالِ كما بالعمل، وصار الهيكل أجمل من ذي قبل».

قِصَّةٌ في عَدَمِ التَسَرُّع

إنَّ رجلًا عجوزًا كان جالسًا مع ابن له يبلغ من العمر ٢٥ سنة في القطارِ. وبدا الكثير من البهجة والفضول على وجه الشاب الذي كان يجلس بجانب النافذة. اخرج يديه من النافذة وشعر بمرور الهواء وصرخ «أبي انظر جميع الأشجار تسير وراءنا»!! فتبَسَّم الرجل العجوز متماشيًا مع فرحة ٱبنه. وكان يجلس بجانبهم زوجان ويستمعان إلى ما يدور من حديث بين الأب وابنه. وشعرا بقليل من الإحراج فكيف يتصرف شاب في عمر ٢٥ سنة **كالطفل!!** فجأة صرخ الشَّاب مرَّةً أُخرى: «أبي، انظر إلى البركة وما فيها من حيوانات، أنظر الغيوم تسير مع القطار». واستمر تعجُّب الزَّوجين من حديث الشَّاب مرَّة أخرى. ثم بدأ هطول الامطار، وقطرات الماء تتساقط على يد الشاب، الذي امتلأ وجهه بالسَّعادة وصرخ مرَّة أخرى: « أبي إنها تُمطِر، والماء لمس يدي، انظر يا أبي».

وفي هذه اللحظة لم يستطع الزَّوجان السكوت، وسألا الرجل العجوز: « **لماذا لا تقوم بزيارة الطبيب والحصول على علاج لٱبنك؟**».

هنا قال الرجل العجوز: « **إنَّنا قادمون من المستشفى حيث أنَّ ٱبني قد أصبح بصيرًا لأوَّلِ مرَّةٍ في حياته**».

تذكر دائمًا: «لا تستخلص النتائج حتى تعرف كل الحقائق».

الإصلاح الكنسي في زمن القديس يوحنا الذهبي الفم

بقلم بالليديوس الأُسقف والـمؤرِّخ

الأذن اليسرى غير الفاسدة
للقديس وحنا الذهبيّ الفم
موجودة في دير ڤاتوبيدي
جبل آثوس - اليونان

القديس پروكلس كان يُشاهد
بإلهام، أنَّ القديس بولس يُلهم
القديس يوحنا الذهبي الفم
في شرح رسائله

الإصلاحات في حياة الإكليروس: هكذا **البطريرك يوحنا** تمت رسامته، واستَهَلَّ العناية بالشئُون الكنسِيَّة. في بادئ الأمر، أختبر رعيَّته بالعَزْفِ لهم على مزمار التعقُّل. ومن حينٍ إلى آخر، استعمل أيضًا عصا التصحيح. لقد هاجم ذلك النمط من الحياة، الذي كان يدعى بشكل تجميلي «**الحياة الأخوية**»، والذي دعاه هو باسمه الصحيح «**الحياة غير اللائقة**»، فيما يخصُّ السكن مع النساء (فقد كان الكاهن يختار فتاة يتيمة أو فتاة تود تكريس نفسها لله فيعلنها أُختًا له بالمحَّبة، ويحتفظ بها طيلة حياته مدبرة لبيته). لقد أظهر أنَّ هذا النمط يُعَدُّ أسوأ من الذين يعيشون في الخطيَّة، لأنَّ الخطأة يعيشون بعيدًا عن الجراحة، ويموتُون مرض الخطيَّة لأنفسهم، ولأولئك الذين يرغبونه فقط، أمَّا في تلك «**الحياة الأخوية**» فيعيشون داخل نطاق ومعمل الخلاص، ومن ثم يشجعون الأصحاء لكي يأتوا ويصابوا بالمرض. هذا الأمر تسبب في امتعاضٍ شديد ضدَّ **يوحنا** بين أولئك الإكليروس الذين كانوا مشتعلين بالأهواء، **ومغتربين** عن محبَّة الله.

الإصلاح في حياة العلمانيِّين: بعد ذلك اجتهد **يوحنا** ضِدَّ الظُّلم، منتزعًا الجشع الذي هو أصل لكلِّ الشرور، ليبني مستوطنةً للصلاح. هذه هي سِمَةُ **البنَّاء الحكيم**، يبدأ أولًا باقتلاع **مسكن الكذب والبطلان**، وثانيًا **يضع أساس الحقِّ**، كما قال **النبي ارميا**: «قَدْ وَكَّلْتُكَ هذَا الْيَوْمَ عَلَى الشُّعُوبِ وَعَلَى الْمَمَالِكِ، لِتَقْلَعَ وَتَهْدِمَ وَتُهْلِكَ وَتَنْقُضَ وَتَبْنِيَ وَتَغْرِسَ» (إر١: ١٠). هناك عبارات تُشير إلى عمله **كفلاحٍ**، والعبارات الثانية تشير إلى عمله **كبنَّاءٍ**. بعد ذلك، أزعج **يوحنا** **المُتَعَبدين لِمَحافِظِ النقود**، وعالج أُسلوب حياتهم، وحثَّهم على الرِضَا والقناعة بِدَخْلِهِم الخاص (الراتب)، وألَّا يحوموا على الدوام وراء روائح الأغنياء السائغة. فنتيجة لإتِّباع حياة المتملِّق والطُفيلي، يتَّبِعُون الدُّخان كقائد لهم ويسلِّمون أنفسهم لنارِ الفِسْقِ. وهكذا اقتلع أغلب الشَّرهين من جحورهم، واللاذعون الذين يصدرون الاتهامات الكاذبة أصابهم نفس المصير.

إصلاح الشئُون الماليَّة في الكنيسة: ثم فحص **يوحنا** دفاتر المحاسبة التي لأمين صندوق الكنيسة، ووجد إنفاقًا ليس لمنفعة الكنيسة، فأمرَ بوقف مثل هذه النفقات. وهذا جاء به إلى سؤال مالي آخر، يتعلَّق بإنفاق الأسقف. هنا وجد تبذيرًا مُبالغًا فيه، فأمرَ بتحويل هذه المبالغ الكبيرة إلى المستشفى (هنا يوحنا تشبه بالقديس باسيليوس الكبير الذي أنشأ مستشفى في قيصرية وكلف أسقفًا برعايتها). وعندما وجد أنَّ الحاجة للعلاجِ شديدةٌ جدًّا، أقام مستشفيات أخرى، وعيَّن كاهنين تقيَّنِ لخدمتها، بالإضافة إلى الأطباء والطباخين، والخدَّام العَطُوفين من بين العزاب لمساعدتهم، لكي يحصل الغرباء الذين يأتون إلى المدينة لتَلَقِّي العناية الطبيَّة اللازمة، وهذا أمرٌ ليس فقط صالحًا في حَدِّ ذاتِهِ، بل أيضًا لمجدِ **المخلص**.

إصلاح رتبة الأرامل: ثم استدعى **يوحنا** أعضاء رتبة الأرامل «أَكْرِمِ الأَرَامِلَ اللَّوَاتِي هُنَّ بِالْحَقِيقَةِ أَرَامِلُ.» (١تيم ٥: ٣)، وقام بِعَمَلِ تحقيقٍ حول **حالات سوء السُّلوك**، وعندما وجد البعض منهم مغرمين بالأمور الجسديَّة، حثَّهُنَّ على تبنِّي ممارسة الصوم، والامتناع عن الحمامات العامة، وعدم ارتداء الملابس المترفة، وإلَّا فتمضي بدون تأخير نحو الزَّواج الثاني، حتى لا تتسبب في إيِ **سمعة سيئة** إلى ناموس **الرَّبِّ**.

الإصلاح في العبادة: وبعد ذلك، حثَّ الناس على الانضمام إلى الصلوات والطلبات المُقَدَّمة للرَّبِّ أثناء الليل في الكنيسة، لأنَّ الرجال لم يكن لديهم وقت فراغ أثناء النهار، بينما زوجاتهم كُنَّ يبقين في البيت ويردِّدْنَ صلواتهن في النهار. كُلُّ هذا أزعجَ رجال الدين الأقل نشاطًا، الذين اعتادوا على النوم طوال الليل. ثم وجَّهَ **يوحنا** سيف التصحيح نحو الأغنياء، فاتحًا بمشرطٍ دمامل أرواحهم، ومعلِّمًا إيَّاهُم التواضع والكياسة نحو الآخرين. في عمله هذا اتَّبع **النصيحة الرسوليَّة لتيموثاوس**: «أَوْصِ الأَغْنِيَاءَ فِي الدَّهْرِ الْحَاضِرِ أَنْ لاَ يَسْتَكْبِرُوا، وَلاَ يُلْقُوا رَجَاءَهُمْ عَلَى غَيْرِ يَقِينِيَّةِ الْغِنَى» (١تي٦: ١٧).

نتائج هذه الإصلاحات: كنتيجة لهذه الإصلاحات، كانت الكنيسة تُنتج كُلَّ يوم **أزهارًا بأكثر غزارة ووفرة**، وتغيَّرت حالةُ المدينة بأكملها إلى التقوى، إذْ كانت نفوس الناس تبتهج بالصَّحو وترتيل المزامير. **لكن الشيطان الذي يكره** ما هو صالح، لم يستطع تَحَمُّل هروب أولئك الذين كانوا تحت سيادته، فَهُم الآن **بكلمة الرَّبِّ** انتُزِعوا من قبضَتِهِ بواسطة تعليم **يوحنا**، لدرجةٍ أنَّ **محبي سباق الخيول والمسارح تركوا ساحة الشيطان** وأسرعوا نحو مرعى **المخلص**، في محبَّتهم لمزمار الرَّاعي الذي يحبُّ خرافه.

المؤامرة ضِدَّ الذهبي الفم: نتيجة لكُلِّ هذا، **امتلك الحسد عقول الرُّعاة المأجورين**، الذين كانوا مدانين ضمنًا. ولأنهم لم يقْدِرُوا التفوُّق عليه – لأنهم لم يدعوا المخلص الذي يقضي على كُلِّ حسد – إبتكروا إفتراءات مختلفة ضِدَّ **يوحنا**، مقدِّمين بعض المواعظ التي له كمزاحٍ، مُوَجَّه للملكة والبلاط الملكي. **بالنهاية نُفِيَ القديس يوحنا الذهبي الفم**، لأنَّه قاوم **غطرسة الامبراطور أركاديوس وافذوكسيًا**. ■

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل الثلاثون

(تتمة من العدد السَّابق)

كما كتب في رسالته الخامسة عشرة:

« أنوي تأليف ما أستطيع من الأناشيد والأبيات للإله المثلَّث الفرادة، الآب والابن والرُّوح القُدُس. أرجوكُنَّ أن تُصَلِّين إلى والدة الإله لكي تتشفَّع إلى الرَّبِّ ولِيُرسِل إِلَيَّ شُعاعًا من نوره الإلهيّ، فإذا أصبحتُ مُستنيرًا، أستطيع أن أُباشر وأُتابع كما يجب هذا العمل الهامّ والعزيز على قلبي. وستكون هذه المُؤَلَّفات ثروتَنا المشتركة. أُطلُبنَ إلى الأب أندرونيكوس أن ينحت الصخور وأَن يُصلِح الطريق، ويبني الجدار حتى الطريق، وأن يضع مزاربًا بعيدًا عن الطريق. وليكتب لي كُلفة كُلّ ذلك فَأُرسِل له المال، لأنِّي أعتقد أنَّه يجب إنهاء هذا الطريق حتى تَستَطِعْنَ الحصول على الماء».

وجاء في رسالته السابعة عشرة:

« لقد انتابني أيضًا شعور مُزعج لا أعرف لماذا، وهذا ما جعلني في مزاج سيِّئ؛ ويبدو لي أنَّ الأخوات لم يتحرَّرنَ بعد من نقائص هذا العالم، ومن بعض أهواء النفس».

«وفيما يختص بِي يا عزيزتي كساني، ويا بَناتِي في المسيح، فأنَا أُفَكِّر بِكُنَّ كما بعذارى صالحاتٍ يُسرعنَ على درب الكمال، وَهُنَّ يُحافِظْنَ على مصابيحِهِنَّ مُضاءةً، وعلى مؤونتِهِنَّ من الزيت ...».

«إنَّ الاهتمامَ بِنُفوسِكُنَّ لا عُلاقة له بالمُضايَقات الصغيرة الناجمة عن الأصوام والصلاة إذا مَارسْتُهنَّا بغير دراسة. وهذا العمل لايُؤَدِّي لِوَحدَهُ إلى الثمار المرغوبة. فما الأصوام والأسهار والصلوات إلَّا وسائل تُساعد في الوصول إلى الهدف، وليست هي الهدف الذي لِأَجلِهِ اخترْتُنَّ الوحدة والعُزلة. لا تَنسَيْنَ هذا أبدًا حتى لا تَفشَلْنَ في دَعوَتِكُنَّ وَتُخطِئنَ الهدفَ ... تَواضَعنَ إلى الأرض أمام الرَّبِّ، لكي تلتقَينَ به، لأنَّ الرَّبَّ يكره المستكبرين، لكنَّه يُحبُّ متواضعي القلوب ويزورهم. ولهذا يقول: «على من سوفَ أسهر؟ على الوديع والمتواضع القلب». ليَكُن عَمَلُكُنَّ حفظ القلب حتى لا يَتَسَنَّى للكبرياء أن تختبِيء فيه كثعبانٍ سامّ، لأنَّ الكبرياء شَرٌّ متعاظم يُفسِد بِسُمومه جميع الفضائل ويمحوها ... والحقّ أنَّ التواضع يرفعنا، ولذلك فإنَّهُ يجذب معه كُلّ الفضائل. فإذا لم تلحق جميع الفضائل بالتواضع، فلا يكون مصدر ارتفاع لأنَّ مجموعة الفضائل هي التي ترفع الإنسان وليس بعضها فقط. وعلى كُلِّ حال فإنَّ الفضائل لا توجد من دون بعضها البعض: إنَّها كأشعة الشمس، أو كمجموعة الألوان التي تؤلِّف شُعاعًا واحدًا مُنعَكِسًا من خلالِ نفسٍ صافية. وهكذا فحيثُ يكون التواضع الحقيقي في المسيح، تكون جميع الفضائل. لذا فإنَّ التواضع هو مصدر الارتفاع. أريدُ أنْ أعلَم منكُنَّ أنَّكُنَّ ترتَفِعنَ كُلَّ يوم أكثر، لأنَّ هذا في الحقيقة هو فرَحِي. فإنَّ قَلَقِي عَلَيْكُنَّ يتزايد، ويُشغلني باستمرار أمر تطوُّر هذا الدير وتحسينه. إنَّ نفسي ضعيفة: فإذا فوجِئتُ بِخَبَرٍ سَيِّيء من قِبَلِكُنَّ، فقد تبرُد أحاسيس؛ ولا أُخبِرَكُنَّ بهذا إلَّا لاهتمامي الأبوي بِكُنَّ».

وقد تَطَرَّقَ في رسالته الواحدة والعشرين إلى حقيقةٍ أعمق تتعلَّق بالضعف البشري، فكَتَبَ:

« ... رَاقِبنَ نموّ شعور الحُبّ بَينَكُنَّ، لأنَّ هذا الشعور يُصبح في خَطَر إذا لم يَتَقَوَّ القلبُ بالصلاةِ النقيَّة التي تُدفئه. فلا يُصْبِحُ الحبّ جسديًا ومخالفًا للطبيعة، فيزرع في أفكارِكُنَّ الاضطراب، ويَحرق القلب نفسه، وهذا ما لا أرجوه لَكُنَّ ... أَحبِبنَ بَعْضَكُنَّ بعضًا بقداسة، كالشقيقات، وليجمعكُنَّ حُبُّ الرَّبِّ المشترك فقط. تَفَادَينَ المصافحة باليَدِ وتبادل القُبُلات، لأنَّكُنَّ تُحارِبنَ أكثر المُخادعين مكرًا».

وكتب في الرسالة الثالثة والعشرين:

« ليست الأهواء هي التي تطرد السلام – وهو العطيَّة الأسمى – وإنَّما الآثار التي تتركها الأهواء في النفسِ بحسب نتيجة الصِراع. فإذا انتصرَت فقد أصبحت ثورة الأهواء عليك فُرصة للشعور بفرحٍ جديد وسلام. وإذا خَسِرتِ لا سمح الله، فسيأتيك الاضطراب والقلق. أمَّا إذا وقعت بعد معركة طويلة في ضعفٍ بَشريٍّ، وسيطَر عليكِ ناموس الخطيئة لمدَّةٍ من الزمن، فَعُد إلى الجهاد، وثابر فتنتصر ويعود إليك السلام».

وجاءَ في رسالته الرابعة والعشرين:

«كنتُ أرغب أن يحُلَّ الربيع لكي آتي إِلَيْكُنَّ، وَأُواسِكُنَّ قليلًا، وَأُفَرِّحَ قُلوبَكُنَّ التي عانت كثيرًا من قسوة الشتاء الصعب الذي كان مُؤلِمًا جدًّا بالنسبَةِ إِلَيْكُنَّ جميعًا يا أخواتي ... والحقيقة أنَّ كُلَّ أَلَمٍ نحتملهُ بالصبر، هو درجة ترفعنا نحو الكمال».

(يتبع)

تتمة من العدد السابق

الإصحاح الرابع

«إِذًا لاَ تَحْكُمُوا فِي شَيْءٍ قَبْلَ الْوَقْتِ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّبُّ الَّذِي سَيُنِيرُ خَفَايَا الظَّلاَمِ وَيُظْهِرُ آرَاءَ الْقُلُوبِ. وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَدْحُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللهِ.» (١كو٤:٥).

٤ – إذًا هل هناك خطيَّة ينبغي أن نفحصها أوَّلًا؟ هذه الخطيَّة حين تفحصها، سترى أنَّهُ سيحدث الآتي: تمامًا مثل اللصوص، وقُطَّاع الطُرق، عندما يرغبون في سرقة شيءٍ ثمين، فإنَّهم يلجأون إلى إطفاء الأنوار أوَّلًا، **هكذا يفعل الذهن الفاسد والمُنحَرِف في ارتكابه للخطيَّة،** لأنَّ المنطق أو العقل داخلنا، هو النُّور المشتعل دائمًا. فلو أنَّ روح الشَرّ هَبَّ بقوَةٍ شديدة، وأطفأ شُعلة النور، سَتُظلِم النفس على الفور، ويعتريها روح الشرّ، وَسَيُختَطَف كُلُّ شيء. أي عندما تستحوذ الشهوة الفاسدة على النفس، بعدما تكون قد سيطرت على بصيرة الذهن، مثل الغمام والضباب الذي يُسيطر على عيون الجسد، فإنَّها لا تترك الذهن يرى أيَّ شيء أبعد من ذلك، **لا سقوط ولا جحيم ولا خوف،** بل بعدما تسود عليه هذه الشهوة الطَّاغية، فمن السهل أن يُهزَم من هذه الخطيَّة، فهي مثل حائط يرتفع باستمرار أمام الأعيُن، ولا يترك أشعة البِرِّ تخترق الذهن، لأنَّ الأفكار غير اللائقة للشهوة، تُحاصره من كُلِّ الجوانب بأسوار (**تمنعه من الرؤية المستقيمة والصحيحة**).

حينئذ تظهر المرأة الزَّانية وتقف أمامه، وَتَمْثُلُ أمام أفكاره، وتبقى حاضرة في ذهنِه، وكما أنَّ فاقِدِي البَصر لا يُدركون النور، على الرغم من أنَّ الوقت قد يكون في منتصف النهار، وتحت السماء مُباشرة، لأنَّ أعينهم مُغلقة، هكذا هؤلاء أيضًا، حتى وإن كانوا بعد يتلقَّوْنَ عِظات خلاصيَّة من قِبَل أولئك المُبَشِّرين، فإنَّهم يَسُدُّون آذانهم تمامًا عن سماع مثل هذا النوع من التبشير، لأنَّ كُلَّ من اكتسب مثل هذه الخبرة السيِّئة، يعرف جيِّدًا هذا الأمر، ليتنا لا نتعرَّف على هذه الخبرة. فهذه الأمور لا تُسَبِّبها الخطيَّة وحدها، بل وكُلُّ شهوة غير لائقة أيضًا.

إن أردتم فلنتحوَّل من المرأة الزانية إلى الحديث عن المال، وسَنَرى أنَّ الأمرَ هنا يسوده ظلامٌ كثيف ومُستمر. لأنَّ شهوة الزِّنا ليست بهذا القدر من العنف والقوَّة، لأنَّ العشيقة تكون واحدة، وينحصر الأمر في مكان واحد، أمَّا المال فيظهر في كُلِّ مكان، في متاجر الفضَّة، ومحلَّات المجوهرات، وفي بيوت الأغنياء، وهو الذي يُحرِّك الشهوة نحو هذه الأمور بِشِدَّةٍ. أي عندما يَطُلُّ هذا المرض بِكُلِّ هذا القدر من الشَّهوة، في أولاد يمشون في السوق، مُعتَلينَ صهوة خيولٍ مُزَيَّنة بالذَّهب، وأُناس يمشون بِخَيلاء (تَباهٍ، كبرياء، زَهوْ، عُجبْ، غُرور، غَطرسة.) مُرتَدين ثيابًا فاخرة، فإنَّ الظلام يَسْتَحْوِذُ وَيَسُودُ بِشِدَّةٍ.

ولماذا أتحَدَّث عن بيوت، ومتاجر الفضَّة؟ لأنِّي أعتقد أنَّ هؤلاء الناس، حين يَرون الغنيّ حتى وإن كان في كتاب أو في صورة، ينتابهم الهَوَس ويتملَّكهم السُعار (الظمأ والعطش لحبِّ المال) وهم يصرخون، حتى أنَّ الظلام يستحوذ عليهم من كُلِّ جانب. وإنْ عَلَّقوا أنظارهم على صورة الملك، فلا يُعجَبوا بجمالِ الأحجار، ولا بالذهب، ولا بالبرفير، بل فقط يحملِقُون بلا حِراك؛ وكما أنَّ ذاكَ الذي يَسود عليه العشق بجنون، فحتَّى ولو رأى بعد صورةَ عشيقته، فإنَّه يُحَدِّق مُحملِقًا فيها بأندِهاش، رغمَ أنَّها صورة لا نَفس لها، هكذا ذاكَ الذي يرى صورة للغنيّ لا نفس لها، فإنَّهُ يُعاني نفس الأمر وأكثر، لأنَّ طُغيان هذه الشهوة (شهوة الغِنى أو جمع المال) يحاصِرُهُ. وبناءً على ذلك فإمَّا أنَّهُ يبقى في منزلِهِ، لأنَّ تفكيره لازال محصورًا في الغِنَى، وإمَّا أن يعود إلى منزله على الفور، طالما أنَّ همَّه الوحيد هو التفكير في الثراء، إذ هو يتعثَّر كثيرًا، بسبب رؤيته للأشياء المُبهِرَة التي يراها في السوق.

وكما أنَّ العاشق لا يرى شيئًا آخَرَ، سوى المرأة، هكذا ذاك الذي يتغافل عن الفقراء، فهو يُحدِّق بِنَظَرِهِ إلى المتيَسِّرين الذين يعيشون في رفاهيَّة حتى لا يتعزَّى، وحين ينظر إليهم، يُدخِل إلى نفسِهِ، نارًا مُستَعِرة، لأنَّهَا نارٌ تأكُلُ كُلَّ مَنْ يسقط في هذه الشَّهوة (محبة المال) بصورة مُرعبة.

وإنْ لم يَكُن هناك جحيم، ولا تهديد بالعقاب، فإنَّ أمور الحياة الحاضرة ذاتها، ستكون عقابًا، أي أنْ يُصاب شخصٌ بمرضٍ ما، ويتأَلَّم بصِفَةٍ دائمة، ولا يكون هناك نهاية لهذا المرض. هذه الأمور في حَدِّ ذاتها وستكون كافية، أي تُقنع الناس أنْ يَتَجَنَّبوا هذا المرض. لأنَّهُ لا يوجد شيء أسوَء مِنَ الحماقة التي تجعل الناس مُلتَصِقين بهذه الأمور التي تحمل حُزْنًا، ولا تحمل أيَّةَ فائدة؛ ولذلك أرجو أنْ تستأصِلوا هذه الشهوة (محبة المال) مِنَ البداية. تمامًا مثل ارتفاع درجة حرارة الجسم، بمجرَّد أنْ تُصيب المرضى، فإنَّها لا تُلهبهم فقط، بل وتجعلهم في عَطَشٍ شديد، ولو أنَّ أحدًا أعطاهم ماءً ليشربوا، لا يُطفِيء هذا الظَّمأ، بل يُشْعِل اللهب أكثر، فارتفاع درجة الحرارة، تجعلهم يعطشون بصورةٍ حادَّةٍ.

هذا ما يحدث مع هذه الشَّهوة (محبة المال)، إنْ لم نمنعها مِنَ البداية حين تخترق أنفسنا، وإنْ لم نُغلق الأبواب تمامًا أمامها، سيُصبح هذا المرض غير قابل للشفاء، فإنَّ الأمور الحسنة، مثلها مثل الأمور السَّيئة، تُصبح ممكنة جدًّا، إذا ما بقيت داخلنا لمدةٍ طويلة.

٥ – ويمكن للمرءِ أنْ يرى، أنَّ هذا يحدث في كُلِّ الأمور الأُخرى، بمعنى أنَّ النبات بمجرَّد أنْ يُزرَع في الأرضِ، فمِنَ السهلِ أن يُقتَلَع مِنْ جذوره، ولكن إذا ضربَ بجذورهِ في الأرضِ لزَمَنٍ طويل، فيكون مِنَ الصعب جدًّا اقتلاعه، بل يحتاج إلى عناءٍ كثير، والبناء أيضًا بمجرَّد أنْ يُشَيَّد، فمن السهلِ على الأعداء أنْ يهدموه، ولكن عندما يقف راسخًا وثابتًا، فسيكون مِنَ الصَّعبِ عليهم أنْ يهدموه. ولو أنَّ وحشًا ما بَقِيَ في بعض الأماكن لزَمَنٍ طويل، فمن الصعبِ أنْ يُطرد منها. إذًا فأولئك الذين لم تَستَحوذ عليهم بعدُ هذه الشَّهوة (أي محبة المال)، أنصحهم بِأَلَّا تسودَ عليهم، لأنَّ الأسهَل أنْ يحترصوا منها، على أنْ يَقَعوا فيها، ثمَّ يحاولوا بعد ذلك أنْ يتخَلَّصوا منها.

أمَّا بالنسبة لأولئك الذين قد استحوذت عليهم هذه الشَّهوة، وسادت عليهم بالفعلِ، فإنْ أرادوا أن يُسَلِّموا أنفسهم للعقلِ والمنطق كما لِطبيبٍ، فأنا أَعِدُهُم بالخلاصِ منها، من خلال نعمة الله التي نثق في عملها وفاعِلِيَّتِهَا. إنَّ الذين عانوا من جَرَّاءِ السقوط في هذا المرض (محبة المال)، ولم يُشفوا بعد، سيكون لهم رجاءٌ كبيرٌ للتَخَلُّص وللتحَرُّر من هذا المرض، إذا ما أَصَرُّوا على الخلاص من هذا الدَّاء.

إذًا، مَنِ الذي سبَقَ وسَقَطَ في هذا المرض واستطاعَ أن يتخَلَّص منه بسهولةٍ ؟ إنَّه زَكَّا رئيس العشَّارين. وهل يوجد مَنْ هو أكثر محبَّةً للمالِ من العشَّار؟ ولكنَّه من خلالِ لقاءٍ واحدٍ مع المسيح ، صارَ حكيمًا، وأَطفَأَ لهيب هذه الشَّهوة تمامًا. وبالمثلِ كان متَّى عشَّارًا – كما هو معروف – وكان مُعتادًا على السَّلب، ولكنه هو أيضًا من خلالِ لقاءٍ واحدٍ مع المسيح ، تركَ هذه الشهوة الضَّارة، وأطفَأَ لهيب عطشه للمال، وانشغَلَ بالأمورِ الروحيَّة. فلتُفَكِّر في هؤلاء وأمثالهم، ويجب ألَّا يسودَ عليك اليأس، لأنَّكَ إنْ أردتَ، ستستطيع أنْ تُشفَى سريعًا. يجب وقبلَ كُلِّ شيء فيما يتعلَّق بخلاصنا، أنْ ننجحَ في تحقيقِ الآتي: ألَّا يستحوذ علينا اليأس والقنوط، وبعد ذلك يجب ألَّا ننظر إلى آلام من ظَلُّوا خاضعين لسطوةِ هذه الشَّهوة. وكما فكَّرنا في زَكَّا ومتَّى، هكذا يجب أنْ نُفَكِّر في **أخاب وجيحزي ويهوذا وحنانيا وسفيرة**، حتى أنَّه بواسطة هؤلاء، نفهم معنى اليأس، ونستأصِل الخمول، ونعمل بالنصائح والإرشادات، بل ونُدَرِّب أنفسنا على أنْ نقول ما قاله اليهود آنذاك، عندما أتوا إلى بُطرس: «ماذا ينبغي أن نفعل لكي نخلُص» (أع ٢:٣٧) ، وليسمع مُحِبُّو المال، ماذا ينبغي أن يفعلوا.

إذًا ماذا ينبغي علينا أنْ نفعلَ؟ أنْ نعرف ونتأكَّد من تفاهة أمور هذا العالم الحاضر، وأنَّ الغِنَى غير مُؤَكَّد، بل ويُعتبر خادمًا جاحدًا، ويُحيط مَنْ يمتلكه بأمورٍ كثيرة تبدو أنَّها حسنة، إلَّا أنَّها غير ذلك، فَلنُرَدِّد هذه الكلمات على مَسامعنا باستمرار؛ وكما أنَّ الأطباء لا يرفضون طلب المرضَى للماءِ البارد، بل يخفِّفون ويُلَطِّفون مِنَ الأمر ويُعلنون استجابتهم لهذا الطلب، إلَّا أنَّهم يتحجَّجون بأنَّ ليس لديهم ماءٌ الآن ولا إناءٌ، وأشياء كثيرة مثل هذه، لأنَّهم لو رفضوا هذا المطلب منذ البداية وبشكلٍ مباشر، سيجعلونهم يغضبون بِشِدَّةٍ، بسببِ احتياجهم الشديد للماءِ البارد. هكذا ليكن تعاملنا نحن أيضًا مع مُحِبِّي المال، فعندما يقولون إنَّنا نرغب في أنْ نغتني، فيجب ألَّا نقول لهم مُباشرَةً، أنَّ الغِنَى أمرٌ سيِّء، بل لِنَضبُط أنفسنا، ولنقل: ونحنُ أيضًا نُريد ذلك، ولكن في الوقت المناسب، نُريد الغِنَى الحقيقي الذي يحمل المتعة الدائمة، والذي يُجمَع لفائدتك أنتَ، وليسَ لِآخرينَ. ولنبدأ في الكلام عن حُبّ الحكمة، ولنقل: نحن لا ننصح بأَلَّا تغتنوا، فلتغتنوا، لكن ليس بشكلٍ سيِّء وظالم، لأنَّه مِنَ المقبول أنْ يغتني المرء، ولكن بدون طمع ولا سَلْبٍ ولا عنف؛ ونحن نُخفِّف على هؤلاء بهذه الكلمات، لا ينبغي أنْ نتَكَلَّم عن الجحيم، لأنَّ المريض لا يحتمل بعد مثل هذا الحديث.

ومن أجلِ هذا، فإنَّنا في مُناقَشاتنا هذه، لِنَستَقِي الحُجَج من أمور الحياةِ الحاضرة، ولنَقُلْ: لماذا تُريد أنْ تغتنيَ عن طريقِ الطمع؟ هل لكي يقتني آخرون الذهب والفضَّة، وأنتَ تحمل اللعنات والإدانات؟ إنَّ المتجرِّد يتعذَّب بسبب احتياجه للأمورِ الضروريَّة، حتى يبقى حيًّا، وينوح ويتهمه الكثيرون. وعندما يأتي المساء، يطوف السوق كُلَّهُ، وكُلُّ الطُرق الضيِّقة في حالة عَوَزٍ وفاقةٍ كاملة، وليس لديه ما يقضي به ليلته. لأنَّه كيف يكون ممكنًا أنْ يكون منتجًا، طالما أنَّه يَتَضَوَّر جوعًا. ويسهر مُعَذَّبًا من البَرِدِ القارص والمطر؟ انتَ تعود من الحمَّام العام، تنعم بالدفءِ، مُرتديًا ملابسك اللَيِّنة، مسرورًا ومُبتهجًا، وتركض نحو مائدتك الفاخرة المُعَدَّة لَكَ. أمَّا ذاكَ فيطوف طُرقات السوق مُعذَّبًا دائمًا، بسبب البردِ القارص والجوع، ويمشي مُنَكَّس الرأس، مادًا يده، وفاقدًا شجاعة التحدُّث مع ذاكَ الذي ينعم بالشَّبَعِ، وهو ليس لديه ما يسَدُّ بِهِ رَمَقَهُ، وكثيرًا ما يُسرع في المغادرة بعد تَعَرُّضِهِ للإهانة.

إذًا فعندما تعود الى بيتك وتأوي في فراشك وتُضيء منزلك بالأضواءِ المُبهرة، عندما تكون مائدتك مُعَدَّة وغنيَّة، عندئذٍ تذكَّر ذاكَ الشَقِيّ والتَعِس الذي يجول في الطُرقات مثل الكلاب بلا مأوى، ويغوصُ في الطينِ وسط الظلام، دون أنْ يكون له زوجة تنتظر عودته، ويلجأ إلى كومة من العُشب مثل الكلاب التي تطوف مسعورة طوال الليل؛ وانتَ، لو أنَّكَ رأيتَ قطرة ماء تسقُط من السَقف، فإنَّكَ تُثير ضجَّة

في أرجاء البيت، وتستدعي الخَدَم لإصلاحِ ما يحدث، بينما ذلك الفقير يرتدي ملابس ممزّقة، ويَتَّخِذ من العُشبِ فِراشًا، مُتحَمِّلًا الخوض في الوحلِ وفي مواجهة البرد القارص.

٦ – أيُّ وحشٍ ذاك الذي لا يُرَوَّضُ عند إدراكِهِ لهذه الأمور؟ من ذا الذي سيكون قاسيًا ومُتوَحِّشًا بهذا القَدر، حتى أنَّه لا يتضع أمام هذه الحالات الكارثيَّة؟ ومع هذا فهناك البعض ممَّا وصلوا إلى هذا الحَدِّ من القَسوة، حتى أنَّهم يقولون إنَّ أولئك الفقراء يستحقون هذه المعاناة التي يُعانونها. فبينما يجب علينا أنْ نرأف، ونبكي وأنْ نُساعد في الشِفاء من هذه الكوارث، إلَّا أنَّ هؤلاء يفعلون العكس، فيتهمونهم بقسوةٍ ووحشيَّةٍ. ولنا أنْ تَطرح على هؤلاء بعض التساؤلات: لماذا يستحق أولئك الفقراء والمحتاجون تلك المعاناة؟ هل لأنَّهم يُريدون أنْ يجدوا طعامًا، ويتغَلَّبوا على الجوع؟ يقولُ لا، بل لأنَّهم لا يُريدون أنْ يعملوا. وأنتَ ألَا تُنفق أموالًا، دونَ أنْ تعمل؟ ماذا إذًا؟ ألَا تَقوم بعملٍ يُعَدُّ في مرَّاتٍ كثيرة أسوأ من كُلِّ بَطَالةٍ، بأنْ تَسلب وتستخدم العُنف، وتكون أسيرًا للطمع؟ كان من الأفضل أنْ تُظهر مثل هذا التكاسل فقط، لأنَّه أفضل من الطمع. لكن الآن تُزايد وتتدَخَّل (بالتعليق) على الكوارث العجيبة، ولا تُبالي بأنَّك لازلتَ عاطلًا، ولا أنك تنشغل بعملٍ أسوأ من الخمول والكسل، بل أيضًا تتهم البُؤساء والمُتعبين.

لنذكر لهؤلاء (القُساة)، مصائب الآخرين، مثل اليُتم المُبكِّر لكثيرين، ومثل المسجونين، والمُعَذَّبين في المحاكم، وغير الآمنين على حياتهم، الأرامل من النساء اللاتي فقدن رجالهن، التحولات الكاملة في مصائر الأغنياء، فلنجعل أفكار هؤلاء أكثر مرونة عن طريق الخوف، لأنَّه عندما نَصِف لهم مصائب الآخرين، سندفعهم للخوفِ من تعرُّضهم لمثلِ هذه الأمور. أي عندما يسمعون أنَّ ابن ذلك الطَّماع والخاطف، أو أنَّ زوجة الآخر المُستَبِدِّ، قد عانوا مصائب لا حصرَ لها بعد موت مَن كان يحميهم – لأنَّ المظلومين هاجموا زوجته وأولاده والجميع شَنُّوا حربًا مشتركة على بيته – فإنَّ ذلك الطَّماع، حتى وإن كان أكثر الجميع فُقدانًا للشعورِ، سيكون أكثر الكُلِّ تَعَقُّلًا. لأنَّه هو نفسه يتوَقَّع أيضًا أن يُكابد نفس الأمور، ولأنَّه يخشى على عائلته أنْ تُقاسي هذه المعاناة. ومن ناحية أُخرى فإنَّ حياتنا مليئة بهذه النماذج، حت أنَّنا لن نَجِدَ صعوبة في تحقيق هذا النوع من الإصلاح؛ وعندما نذكر هذه الأمور، لا نذكرها كمن يُقَدِّم نَصائح أو يُعطي إشارات، لكي لا يُصبح حديثنا مُزعجًا، بل ببساطة كمن يستعرض بعض الأحداث.

وهناك دافعٌ آخر، ألَا وهو طرح موضوعات أخرى، ولنحسم هذه النقاشات، ولنذكر هذه النماذج بصفةٍ مستمرة لتكون محور حديثنا، ونشرح كيف سقط بيت ذلك الشخص بعدما كان مُشرقًا وَبَهِيًّا، كيف صارَ خَرِبًا وقَفِرًا، حتى أنَّ كُلّ محتوياته قد آلَت إلى أيدي آخرين. عدد القضايا التي تُرفَع أمام المحاكم يوميًّا، بسبب هذه الثروة التي كَوَّنها، وحجم الصعوبات التي تواجهه، كم من عبيد قد هلكوا وآخرين أصبحوا متسَوِّلين، وغيرهم سُجِنُوا. ولنتكلَّم عن هذه المسائل ولنعتبر كُلّ الأمور الحاضرة، أُمورًا تافهة، حتى نجعل الفكر المتجمِّد، لَيِّنًا، بالخوفِ وبالرأفة. وعندما نراهم وقد خافوا من هذه الأمور التي نرويها، عندئذ نحدثهم **عن الجحيم**، لا كأنَّنا نُخيفهم، بل كمن يتألَّم من أجلِ آخرين، هكذا يجب أنْ نتكلَّم؛ ولكن لماذا يجب أنْ نُشير إلى أُمور الحياةِ الحاضرة؟ عقابنا لا ينحصر في هذه الأمور، بل إنَّ هؤلاء الناس ينتظرهم **جحيمٌ مُخيف، ونهرُ نارٍ، ودودٌ لا يموت، وظلامٌ دائم، وعقابٌ أبدي**.

هكذا فإنَّنا من خلال تكرار هذه النماذج بصفةٍ دائمة، سَنُصلِح أنفسنا، وَسَنُصلح هؤلاء أيضًا، وَسَنُنْقِذُهُم سريعًا من هذا المرض (حبّ المال)، وسيمتدحنا الله يوم الدينونة، كما يقول **القديس بولس**: «وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَدْحُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللهِ.» (١ كو ٤: ٥). لأنَّ مديح الناس سينتهي، بل دائمًا لا يكون بدوافع صالحة. أمَّا المَدحُ الذي يأتي من الله، يبقَى صالحًا دائمًا، ويُضيء بوضوح. أي أنَّ الله الذي يعرف كُلّ شيء قبل حدوثه، وهو فوق كُلّ الآلام وكُلّ الشهوات، عندما يمدح أحدًا فإنَّ ذلك يُعَدُّ دليلًا على تَحَلِّي ذلك الشخص بالفضيلة بدون أدنَى شَكٍّ.

إذًا ونحن نُدرك هذه الأمور، ليتنا نسلك باستقامةٍ، حتى نُمتَدَح من الله وننال الخيرات التي ليتنا جميعًا أن ننالها، بالنعمةِ والرأفات اللواتي **لربنا يسوع المسيح** الذي يليقُ به **مع الآب والرُّوح القُدُس**، المجد والقوَّة، والكرامة إلى الأبد، آمين.

(يتبع في العدد القادم)

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122